جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

محاضرات في البلاغة العربية

اعداد الدكتور: العزوزي حرزولي

الموسم الجامعي2023/2022

أبنائي الطلبة بناتي الطالبات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

نلتقي هذا السداسي في اطار محاضرات مقياس البلاغة العربية والتي تعد من أهم العلوم في الثقافة العربية الاسلامية وتكتسي أهمية بالغة في تكوين الطالب المتخصص في اللغة العربية وآدابها وقد بذلت جهدي في التيسير وتقريب المادة إلى الطلبة ولذلك بسطت

الأساليب مراعاة للظروف الاستثنائية بسبب الجائحة و ما حتمته من طرائق تدريس
وإليكم مفردات البرنامج:

المحاضرة الأولى: علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه) أ راء أهل المشرق والمغرب

المحاضرة الأولى : علم البلاغة :مفهومه ونشأته وتطور ،وفروعه /آراء أهل المشرق والمغرب

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في البلاغة

المحاضرة الثالثة الأسلوب الخبري وأضربه

المحاضرة الرابعة : الأسلوب الإنشائي وأضربه

المحاضرة الخامسة : التقديم والتأخيـــــر /الفصل والوصل

المحاضرة السادسة : الحقيقة والمجاز .وأنواع المجـاز

المحاضرة السابعة : التشبيـه وأضربه.

المحاضرة الثامنة : الاستعارة والكنايـة

المحاضرة التاسعة : المطابقــة /والمقابلة

المحاضرة العاشرة : الجنـاس .

المحاضرة الحادية عشرة: السجـع

المحاضرة الثانية عشرة: البلاغة والأسلوبيـة

المحاضرة الثالثة عشرة: البلاغـة والشعريـة.

المحاضرة الرابعة عشرة: بلاغة الخطاب النثري.

المحاضرة الأولى

علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)

نزل القرآن الكريم معجزا في لفظه وأسلوبه ومعناه. وكان في ذلك تحدٍّ كبير للعرب عامة ولقريش خاصة لما عُرِفَت به من بلاغة وفصاحة.

وتولّدت بسبب ذلك علوم عربية خالصة تبحث في سر هذا الإعجاز القرآني ومن هذه العلوم علم البلاغة .

فما المراد بالبلاغة وما الفرق بينها وبين الفصاحة.

أولا: البلاغة:

البلاغة لغة: من بلغ الشيءُ يبلغُ، بلوغاً وبلاغاً؛ وصل وانتهى[1] فالمفهوم اللغوي يتحدد في الوصول والانتهاء، ومنه أيضا، بلّغتُ الرسالة: إذا أوصلتها.

فالبليغ إذن: الذي نجح في تبليغ المعنى الذي أراده.

أما اصطلاحاً: فليس للبلاغة مفهوم موحّد متفق عليه إنما هناك مجموعة تعاريف نذكر منها:

-الخليل بن أحمد (175هـ) البلاغة ما قرب طرفاه، وبعدُ منتهاه"[2]

-سأل معاويةُ صُحارًا العبدي*، ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ"[3]

-المفضل الضبّي: قلت لأعرابي، ما البلاغة؟ قال الإعجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل: (الخطل= الخطأ)

هي البلوغ إلى المعنى ولم يطل سَفَر الكلام"[4](ابن المعتز)

---

[1] اللسان، 418/8.

*هو صحار بن عياش العبدي من بني عبد القيس، أحد الخطباء البلغاء. ت 40هـ

[2] أمين 13/1

[3] جواهر البلاغة 46

[4] البلاغة الواضحة 13/1

-جلال الدين القزويني (739هـ) أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[5].

-أحمد الهاشمي (1943م): البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاّب، مع ملاءمة كل كلام للمواطن التي يقال فيها، والأشخاص الذين يخاطبون.[6]

يفهم مما سبق أن البلاغة تعني وصول المعنى إلى السامع وتأثيره فيه من أقرب طريق.

وهي تعنى نجاح المتكلم في إيصال المعنى للسامع وتأثيره فيه من أقرب طريق.

لكن هل البلاغة إذن في اللفظ أم في المعنى أم فيهما معا ،ذهب الدارسون في ذلك مذاهب ثلاثة:

1- مدرسة اللفظ:

يمكن اعتبار الجاحظ شيخ هذه المدرسة، فقد شاع عنه قوله:" المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والغزالي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ وسهولة، المخرج وكثرة الماء[7]،الطبع = الذوق وفي صحة الطبع، وجودة السبك (الحيوان 131/3)[8]

وتبع الجاحظ أبو هلال العسكري الذي يقول:" وليس الشأن في إيراد ذلك المعاني ... وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه؛ وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السّبك والتركيب..." [9]

وكذلك ابن خلدون، ومن المحدثين أحمد حسن الزيات ...

- ويظهر أن هذا الاتجاه طفا خلال ما يعرف بعصر الضعف الأدبي وغدت البلاغة، رصفا للألفاظ دونما اهتمام بالمعنى ولا عناية بالمضمون.

2- مدرسة المعنى:

هذه ليست مدرسة أو مذهبا بالمعنى الصحيح للكلمة لكنه توجه تبناه ابن جني وشرحه في كتابه "الخصائص" وردّ من خلاله على القائلين بأن العرب تعتني بالألفاظ دون المعنى.

---

[5] الايضاح تحقيق على بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ص 32

[6] جواهر البلاغة ص 42

[7] كثرة الماء في الأسلوب أن يكون رقيقا عذابا كالنبات الذي يكون بالماء غضّا نظرا جميلا.

[8] أمين 16/1

[9] **الصناعتين أبو هلال، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت،ص58**

يقول:" . وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها ... فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها ..." ثم يقول:" ... فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنوها ... فلا ترينّ أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ: بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها.

مدرسة اللفظ والمعنى معاً (مدرسة النظم)

يعد الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) رائد هذه المدرسة دون منازع فقد حذر من الفصل بين اللفظ والمعنى، ورأى أن البلاغة في القول لا تستوي إلا بهما معا. وهذا الذي يسميه " نظما" يقول: "... وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وإنّا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها النظم وترتيب في غاية القوة والظهور"[10] ثم يرد على القائلين بالعناية باللفظ دون المعنى فالألفاظ – في رأيه– لا تنفصل البته عن المعاني. وكذلك العكس فيقول: " .. فترى الرجل منهم (أي من الذي يقولون بالعناية بالألفاظ دون المعاني) يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه على ما أعلمناك " [11]

هذا والرأي نفسه نجد عند معاصر الجرجاني، ابن رشيق القيرواني الذي يرى أن اللفظ لا ينفك عن المعنى. يقول " إنهما متلازمان، إذ اللفظ جسم روحه المعنى. ومن ثم كان ما يوصف به أحدهما يعد وصفا للآخر. فإذا وصف اللفظ بالغرابة أو الابتذال كان ذلك وصفا للمعنى الجائر وراءه. وكذلك الشأن في المعنى إن وصف بالوضوح أو الغموض كان ذلك وصفا للفظ الذي يعرضه ويجلوه.

والخلاصة من كل ما سبق أن البلاغة جمال ترتيب يشمل الألفاظ والمعاني معا.

الفصاحة:

تطلق في اللغة على المعنى العام فهو الإبانة والوضوح من ذلك:

3–أفصح الصبح إذا أضاء.

2–أفصح الصبي في منطقة: إذا أبان وظهر كلامه

1–قال تعالى: " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ" أي هو أبْيَن منّي منطقا وأظهر مني قولا.

---

[10] الدلائل 330

[11] الدلائل 330

والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني هي الألفاظ البينة الظاهرة المبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب الشعراء [12]

لذلك وضع العلماء للفظة الفصيحة شروط هي:

أ-شروط اللفظة الفصيحة:

1-أن تسلم من تنافر الحروف: والحروف المتنافرة هي ما كانت متقاربة المخارج كالعين من الخاء أو الشين الظاء مثل قولهم:

للموضع الخشن "لنبات ترعاه الإبل و" النقاخ للماء العذب الصافي ...

(العخعخ/الهعخع)(الظش...الموضع الخشن)

2-أن لا تكون غريبة: واللفظة الغريبة ما كانت نادرة الاستعمال

غير مألوفة مثل: العملس للذئب والفدوكس للأسد

يظهر هذا في بيت الشنفرى

دعست على غطش وبغش

3-أن لا تكون شاذة من حيث القياس الصرفي: مثل قول الشاعر:[13]

الحمد لله العلي الأجلل ***الواحد الفرد القديم الأول

فالأجلل مخالفة للقياس والأصل "الأجلّ" ولا مسوّغ لفك الإدغام إلا من باب الضرورة الشعرية كما في البيت

يقول المتنبي:

فإن يك بعض الناس سيفا لدولة *** ففي الناس بوقات لها وطبولُ

فبوقات: تخالف القياس. لأن جمع " بوق" أبواق وليس بوقات.

أ-الكراهة في السمع: هو أن تكون الكلمة وحشية لا تقبلها الأذواق السليمة كلفظة " الجرشي" التي تعني النفس في بيت المتنبي بمدح الدولة:

مبارك الاسم أغرُّ اللقبْ *** كريم الجرشيّ شريف النسبْ

ب- شروط الكلام الفصيح:

حتى يكون الكلام فصيحا لابد من أن يسلم من العيوب الآتية:

---

[12] (جواهر البلاغة ص 16)

[13] والشاعر هو أبو النجم، والبيت في اللسان برواية أخرى مادة (جلل)، أبو النجم شاعر أموي اسمه الفضل بن قدامة.العجلي توفي سنة (130 ه)

1.تنافر الكلمات المجتمعة بأن تكون ثقيلة في النطق وثقيلة على السمع كأن تتجاور كلمات متقاربة الحروف أو أن تكرر الكلمة الواحدة دون طائل: مثل قول الشاعر:[14]

وقبر حرب بمكان قفر *** وليس قرب قبر حربِ قبرُ (الرجز)

وكقول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى *** معي وإذا ما لمتُه لمتُه وحدي.

2.ضعف التأليف:

وفيه يكون الكلام غير جار على سنن العربية فيخالف المشهور عند النحاة وربما مال إلى الشاذ ويحدث هذا كثيرا في الشعر، ومن ذلك قول الشاعر:

من يهتدي في الفعل ما لا يَهتدي *** في القول حتى يفعلَ الشعراءُ[15]

في البيت فصل بين المبتدأ والخبر. وتقديم للخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو إلى اللبس: من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي والمقصود أي يهتدى في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

أو كقول حسّان:

ولو أن المجد أخلد الدهّر واحدًا *** من الناس أبقى مجدُه الدهرَّ مطعما[16]

والشاهد أن الضمير في مجده يعود على مطعم وهو متأخر لفظا ورتبة.

3.التعقيد اللفظي:

وفيه ترد الألفاظ غير مرتبة ترتيبا يساعد على فهم المعنى كقول المتنبي في مدح شجاع بن محمد الطائي:

أنى يكون أبا البرية آدم **** وأبوك والثقلان أنت محمد[17]

وأصل الترتيب:

أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان

أو كقول المتنبي يمدح أبا الفضل الأنطاكي:

جفختْ وهم لا يجفخون بها بهم *** شيمٌ على الحسَبِ الأغرّ دلائل

تقدير البيت:

---

[14] جواهر البلاغة ص 32. البيت نسب إلى واحد من الجن.

[15] معناه، يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

[16] معناه لو أن المجد سبب الخلود الإنسان (واحدا) لكان "مطعم بن عدي" أو الناس بذلك " ومطعم هو أحد رؤساء قريش وكان يكافع عن النبي (ص).

[17] البيت في البلاغة الواضحة ص 7، ومعناه أنك جمعت ما في البشر كلهم من الفضل والكمال

افتخرت بهم شيم وهو لا يفخرون بها و شيمهم دلائلُ على الحسب الأغر (أي الأبيض الناصع)

4.التعقيد المعنوي:

وفيه يعمد المتكلم إلى استعمال تراكيب مضطربة مع ألفاظ لا توحي بالمعنى المقصود، مما يؤدي إلى الغموض في المعنى ومثال ذلك قول عباس بن الأحنف:

سأطلبُ بُعدَ الدار عنكم لتقربوا *** وتسكبُ عيناي الدموع لتجمدا

أراد أن يقول: سأبتعد عنكم لأزداد شوقا إليكم وتسكب عيناي الدموع. حتى تجمد أي حتى تتوقف عند اللقاء فرحا به وسرورا.

ووجه التعقيد في البيت أنه جعل جمود العين دليلا على الفرحة باللقاء. وهذا مخالف لما اعتادته العرب في كلامها. فلا يقال عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له: جمدت عيناك[18]

إنما جمود العين عند العرب كناية عن عدم البكاء حالة الحزن ومنه قول الخنساء:

أعيني جودا ولا تجمدا *** ألا تبكيان لصخر الندى

لا تجمدا أي لا تبخلا بالدموع فالمقام مقام حزن

5.كثرة التكرار للكلمة اسما كانت أو فعلا أو حرفا ...

بحيث يكون تكراراً لا طائل من ورائه كما أنّ تكرار الكاف والنون في كلمات هذا البيت أوجد **ثقلًا** مثال ذلك قول الشاعر [19]:

لو كنتَ كنتَ كتمتَ السر كنتَ كما *** كنّا وكنتَ ولكن ذاك لم يكن

ومن أمثلة التكرار قول الأعشى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُني *** شاوٍ. مِشَلٌّ، شُلُولُ، شُلْشُلْ، شوِلُ[20]

رفض النقاد والبلاغيون هذا البيت واتهموه بالبعد عن الفصاحة لكثرة تكرار الشين في عجزه.

وقد حلله بعض المحدثين على أنه تصوير بارع لحالة السكر التي يعيشها الأعشى عندما أكثر من حرف الشين (حرف تشويش) وجاءت الكلمات متعاقبة على غير المعتاد.

أو كقول الآخر [21]:

---

[18] جواهر البلاغة 35

[19] نفسه

[20] الشاوي= الذي شوى/ المشلّ= المطرد أو الرمح القصير/ شلول= خفيف/ شلشل= الخفيف القليل،/ الشول = الخفيف أيضا. والألفاظ متقاربة أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة. كذا في اللسان 362/11 مادة (شلل) وقبل ذكر البيت جاء في لسان = رجل مِشلّ وشلُولٌ وشلْشلٌ= خفيف سريع.

[21] جواهر البلاغة الهاشمي 40

والمد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى **** المعاشر منك إلا بالرضا

والآن ما الفرق بين البلاغة والفصاحة؟ وما العلاقة بينهما؟ الحقيقة أن الكلام لا يكون بليغا إلا إذا كان فصيحا ولا يعقل أن نفصل أحدهما عن الآخر إذ هما متكاملان. بل ذهب كثير من العلماء إلى أنهما شيء واحد جاء في معجم الصحاح للجوهري:" البلاغة هي الفصاحة[22]

وهذا أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين (ت395) يقول الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له ويمكن القول أن البلاغة أعمّ من الفصاحة.

[22] الصحاح مادة بلغ) + (أمين ص 26)

المحاضرة الثانية

أثر الفرق الكلامية في البلاغة

نشأت علوم البلاغة و تطورت عبر مراحل تاريخية شأنها في ذلك شأن العلوم العربية الأخرى لكن من ميزاتها ارتباطها ببيئة المتكلمين ذلك أنّ علماء الكلام كان لهم إسهام بيّن في تطور علوم البلاغة ، فجلّ علماء البلاغة المعروفين من هذه البيئة كبشر بن المعتمر والفراء والجاحظ والرماني و القاضي الباقلاني وابن جني وعبد القاهر والزمخشري..

وهكذا أثّر هؤلاء بمنطلقاتهم الفكرية في البلاغة، بل من الباحثين مَن يرى أنه بظهور نظرية الصِّرفة التي جاء بها إبراهيم بن سيّار النظّام (ت 231هـ) وجّه العلماء عنايتهم إلى ما عرف باسم "علوم البلاغة" دفاعا عن القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة الأسلوب، وبديع الإيجاز.
وكان مما حفزهم إلى ذلك مسألة البحث في إعجاز القرآن الكريم من أي جهة هو؟ أمن جهة اشتماله على مغيبات صح الإخبار بها بعد؟ أم من جهة الصرفة، وهي: صرف الله العرب عن معارضته مع يسرها عليهم تمكينا لنبيه وتصديقا له"[23].

ولمّا كانت الفرق الكلامية في حالة تنافس وخصومة وكانت كل فرقة تزعم أنّ في القرآن ما يؤيد وجهة نظرها فقد أمعن علماؤها وحاولوا بآليات بلاغية التدليل على مذاهبهم مما أثرى التأليف البلاغي بمؤلفات عديدة فيما عرف بعد ذلك بعلوم المعاني والبيان والبديع، ومن أشهر الفرق الكلامية "المعتزلة" فقد كان اهتمام أتباعها بالبلاغة نابعا من اهتمامهم بالقران الكريم وإعجازه والدفاع عن أرائهم ونشرها بين الناس ،وقد نقل الجاحظ عن عمرو بن عبيد في تعريف البلاغة:" إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة

[23] المنهاج الواضح البلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث،ج3ص06

على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب"[24]

فهم يرون في البلاغة بابا من أبواب تحصيل الأجر وعِلما عظيم الفائدة فبذلوا الجهود وألّفوا المصنفات

التعريف بفرقة المعتزلة:

الاعتزال لغة: مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض

أما المعتزلة في الاصطلاح: فاسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن

الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري[25]

والمعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

[24] البيان والتبيين دار ومكتبة الهلال، بيروت ، **1423** هـ ،(1/ 112)

[25] ودخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين: لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان؛ بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلقا؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة ويقول البغدادي: إن واصل بن عطاء زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق في منزلتي الكفر والإيمان، وأن الحسن البصري لما سمع ذلك منه طرده من مجلسه، وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد فقال الناس فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة.

وقد كان للمعتزلة مساهمة كبيرة في البلاغة العربية في طور نشأتها وتطورها يقول الجاحظ "لأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء. وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكلّ خلف، وقدوة لكل تابع"[26] فقد كان لمكانتهم المرموقة تأثيره المهم في التأليف البلاغي.

المجاز عند المعتزلة:

من أهم القضايا البلاغية التي عالجها المعتزلة قضية الإعجاز القرآني وقضية اللفظ والمعنى وقضية المجاز[27] والتي تعدّ من أبرز ما عُرف به المعتزلة هي قولهم بخَلْق القرآن وتفسيرهم الخاص لصفات الله عزَّ وجلَّ بخلاف ما عُرف عند الأمة ولذلك كانوا يتأولون الآيات التي تظهر خلاف رأيهم ودرسوا المجاز دراسة عميقة وغالوا في ذلك يقول ابن جني " وهو معتزلي": اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة "[28]

لعل أول ظهور لمصطلح المجاز برز على يدي أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ) لكنه استعمله بمعنى التفسير أمَّا المجاز بمفهومه المعروف في البلاغة فقد تبلور على يد الجاحظ فهو الذي جعله قسيما للحقيقة

فمدار معاركهم الفكرية بينهم وبين مخالفيهم كان المجاز أهم ركائزه ، فلا غرو أن نرى ابن قتيبة ت276هـ إمام أهل السنة في زمانه يتصدى لهم ويرد مغالاتهم في الأخذ بالمجاز في القرآن الكريم[29]

فمن ذلك مثلا تفسيرهم للآيات والأحاديث المتعلّقة بالصفات الإلهية وكلام الله عزّ وجلّ إذ يظهر بجلاء مغالاتهم في الأخذ بالمجاز بما يوافق أصولهم الاعتزالية كما في قوله تعالى: (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**) الفتح 10 (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) البقرة 115(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)طه39 ...

---

[26] البيان والتبيين (1/ 131)

[27] ينظر في ذلك كتاب التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة ، وليد قصاب ،الدوحة ،1985

[28] الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط4،ج2 ص449

[29] تأويل مشكل القرآن تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ص69 وما بعدها

في هذه البيئة أقبل البلاغيون على دراسة لغة العرب دراسة وافية حتى ذاع بين الدارسين أنّ البلاغة نمت في حجور المعتزلة ولعل ذلك عائد إلى كثرة العلماء الذين كان لهم إسهام كبير في الدرس البلاغي ومعرفة عميقة بأساليب البيان بل يعدون من أكثر الطوائف إرساء لأسس البلاغة بحكم اتصالهم بالقران الكريم ومن أشهر علماء البلاغة الفراء 207هـ(يميل إلى الاعتزال) وبشر بن المعتمر 210هـ والجاحظ 255هـ و أَبي الحَسَن الرماني ت 384 هـ وابن جني 392هـ والزمخشري 538هـ الذي يمثّل معجمه أساس البلاغة أنموذجا لما يوليه المعتزلة من أهمية للمجاز أما تفسيره "الكشاف" فيعد التطبيق الفعلي لنظرية النظم التي أرسى دعائمها عبد القاهر الجرجاني وينتمي أيضا لفرقة كلامية (الأشعرية).

المحاضرة الثالثة

الأسلوب الخبري وأضربه

يجدر بنا قبل دخول هذا الموضوع التعريج على علم المعاني ،ذلك أن دراسة **الأسلوب الخبري وأضربه** لا تتأتّى من إلّا خلال معرفة علم المعاني و"هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، فبه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينا والإطناب آخر، والفصل والوصل، إلى غير ذلك مما سنذكر بعد.

فمنه نعرف مثلا:

1- أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت.

2- أن العرب تطنب إذا مدحت.

3- أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام.

فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال التي يورد فيها، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال.

واضعه: أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهرة الجرجاني المتوفى سنة 471هـ فهو الذي هذّب مسائله وأوضح قواعده، وقد وضع فيه الأئمة قبله نتفا كالجاحظ وأبي هلال العسكري، إلا أنهم لم يوفّقوا إلى مثل ما وفق إليه ذلكم الحبر الجليل[30].

[30] علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع **أحمد بن مصطفى المراغي** (ص: 41)

تعريف الخبر: هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأن له نسبة خارجية في الواقع إن طابقت كلام المتكلم كان الخبر صادقًا، وإن لم تطابقه كان الخبر كاذبًا مثل قولك مثلًا: سافر محمد. والعلم النافع. والأرض تدور حول الشمس[31].

أغراض الخبر الأصلية:

ذكر البلاغيون أن من يكون بصدد الإخبار ينحصر قصده بخبره هذا في أمرين:
الأول: إفادة المخاطب مضمون الخبر وفائدته، وذلك كقولك لمن لا يعلم أن والداه قد سافر: (سافر والدك) ولمن لا يعلم أن الهلال قد ظهر: (ظهر الهلال) ولمن لا يعلم أن أخاه قد نجح: (نجح أخوك). ومثله أيضا: «أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته، وأقرّه عثمان مدة خلافته نحو اثنتي عشرة سنة، وتغلّب على الشام محاربا لعليّ أربع سنين، فكان أميرا وملكا على الشام نحو أربعين سنة. وكان حليما حازما، داهية عالما بسياسة الملك، وكان حلمه قاهرا لغضبه، وجوده غالبا على منعه، يصل ولا يقطع»
الثاني: إفادة المخاطب لازم فائدة الخبر: وذلك كقولك لمن حفظ القرآن الكريم: (أنت قد حفظت القرآن الكريم)، فهو يعلم أنه حفظ القرآن الكريم، ولكنك قد أفدته أنك تعلم ذلك – أيضاً –.ومن نماذجه كذلك:
إنك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب، وتعفو مع القدرة، وتصفح عن الزلة، وتستجيب لنداء المستغيث بك.
– وقال المتنبي مخاطبا سيف الدولة ومثنيا على شجاعته:
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى***وقد كثرت حول الوكور المطاعم
هذا هو الذي جرى عليه العرف في الإخبار بخبر ما، وذلك إذا التزم المتكلم باستعمال الجمل الخبرية في حقائقها، أما من يريد أن يستخدم الأساليب الخيرية في أفقها الأرحب فإن قصده يتعدد بتعدد الأغراض التي تدفعه إلى القول، وتحثه عليه، ولهذا فإن الخبر قد يخرج عن الغرضين الأساسيين، وهما الفائدة ولازم الفائدة إلى أغراض أخرى يقصدها البلغاء، وتتضح عن سياق الكلام، ومن ذلك:

---

[31] **البلاغة 2 – المعاني، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية،دت ،ص68**

اظهار الضعف والاسترحام:

1 قول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}.

2 إن الثمانين، وبلّغتها ***قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قال الشاعر وقد فَقَد ابنه :

ولمّا دعوتُ الصبر بعدك والأسى*** أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر

فـــإن ينقطع منك الرجـــاء فإنّه*** سَيبقى عليك الحُزنُ ما بقى الدهـــر

والاسترحام:

قوله تعالى في شأن موسى –عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص: 24) فسيدنا موسى –عليه السلام– لا يقصد إلّا أن يرجو الرحمة والعطف من ربه –عز وجل. ومن هذا القبيل أيضا قول أبي نواس:

تعاظمني ذنبي فلما قرنته*** بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ومنه قول أبي الطيب المتنبي وهو في محبسه مستعطفا السلطان:

دعوتك عند انقطاع الرجاء***والموت منّي كحبل الوريد

دعوتك لما براني البلاء***وأوهن رجليّ ثقل الحديـد

الحث على السعي:

وما نيـل المطالب بالتمني ***ولكن تؤخذ الدنيا غـــلابا

وما استعصى على قوم منال*** إذا الإقدام كان لهم ركابا

التحسر:

ومنه قول أبي الطيب في جدّته وقد ماتت قبل أن يلقاها

أتاها كتابي بعد يأسٍ وترحةٍ *** فَماتَت سُروراً بي فَمُتُّ بِها غَمّا

الفخر:

قول معن بن أوس في الفخر:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة *** ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها *** ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

ومنه قول أبي الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ***وأسمعت كلماتي من به صمم

- التهديد، نحو:

إذا لم تخش عاقبة الليالي *** ولم تستح فاصنع ما تشاء

أضرب الخبر:

تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث حالات هي:

أ. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردّد فيه، ولا منكر له.

في هذه الحالة يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، لعدم الحاجة إليه. ويسمّى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا.

يلجأ إليه حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إيّاه خاليا،

ومثاله ما ورد في كتاب معاوية . ض . لأحد عمّاله: «لا ينبغي لنا أن نسوس النّاس سياسة واحدة، لا نلين جميعا فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتدّ جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدّة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة».

والخبر في هذه الجمل خال من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من مضمون الخبر ولذلك لم ير المتكلم حاجة

إلى توكيد الحكم له.

ب. أن يكون المخاطب متردّدا في الخبر، طالبا الوصول الى اليقين في معرفته.

في هذه الحالة يستحسن توكيد الكلام ليتمكّن من نفس المخاطب، ويطرح الخلاف والتردّد وراء ظهره. ويسمّى هذا الضرب من الخبر طلبيّا ويتضمّن وسيلة توكيد واحدة.

مثاله قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ [النَّحْل: 90] أكّد الخبر بأداة واحدة هي (إنّ).

وكقول أحدهم: إنّه قد نجح المجتهدون.

فالمخاطب يشك بصحة الخبر لذلك ألقي إليه الخبر مؤكّدا ب (إنّ) وب (قد).

ج. أن يكون المخاطب منكرا للخبر، معتقدا خلافه.

في هذه الحال يجب أن يؤكّد الخبر بمؤكّد أو أكثر على حسب إنكاره قوّة وضعفا. ويسمّى هذا الضرب إنكاريا ويتضمّن أكثر من وسيلة توكيد واحدة.

ومثاله قول أبي العبّاس السفّاح: «لأعملنّ اللّين حتّى لا ينفع إلّا الشدّة، ولأكرمنّ الخاصّة ما أمنتهم على العامّة، ولأغمدنّ سيفي حتّى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتّى لا أرى للعطيّة موضعا».

فالمخاطبون منكرون للحكم، رافضون القبول به، لذلك لجأ أبو العبّاس إلى استخدام وسائل التقوية والتوكيد ليدفع الشك عن نفوس المخاطبين، ويدعوهم إلى التسليم. لقد لجأ إلى لام القسم ونون التوكيد الثقيلة والنّفي بعده حصر ب (إلّا).

ومثاله أيضا قولنا: إن أخاك لقادم. فالتأكيد ب (إنّ واللام)، وإذا شعرنا أن إنكاره أقوى يمكن التأكيد بثلاث أدوات فنقول:

والله إنّه لقادم (القسم+ إنّ+ اللام).

وكما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضا، نحو:

ما الكريم بنادم على بذله

والله ما المستشير بنادم.

المحاضرة الرابعة

الأسلوب الإنشائي

الإنشاء لغة: الإيجاد، واصطلاحاً: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته (1) نحو اغفر – وارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق – أو كذب وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء «وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا تلفظت به» فطلب الفعل في «افعل» وطلب الكف في «لا تفعل» وطلب المحبوب في «التمني» وطلب الفهم في «الاستفهام» وطلب الاقبال في «النداء» كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.

وينقسم الانشاء إلى نوعين: انشاء طلبي – وانشاء غير طلبي، «فالإنشاء غير الطلبي» ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب– ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبرية. (2)

(1) أما المدح والذم فيكونان: بنعم وبئس – وما جرى مجراهما نحو حبذا، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو طاب عليٌّ نفساً، وخبث بكر أصلاً.

(2) وأما العقود: فتكون بالماضي كثيراً، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ – وأعتقتُ – وبغيره قليلا – نحو أنا بائع، وعبدي حرٌ لوجه الله تعالى.

(3) وأما القسم: فيكون: بالواو – والباء – والتاء – وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

(4) وأما التّعجب: فيكون قياساً بصيغتين، ما أفعله – وأفعل به وسماعاً بغيرهما،

نحو: لله دره عالما – كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم.

(5) وأما الرجاء: فيكون: ب عسى – وحرى – واخلولق، نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

واعلم أن الانشاء غير الطلبي لا تبحث عند علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الاصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

وأُنما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطلبي) لما يمتاز به من لطائف بلاغية.

«فالإنشاء الطلبي» هو الذي يستدعى مطلوباً غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه خمسة، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء[32]

الأمر.

1 – 1. تعريفه:

هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والالزام.

ويكون ممّن هو أعلى إلى من هو أقلّ منه.

1 – 2. صيغه الأصلية:

للأمر أربع صيغ أصلية هي:

أ. الأمر بالفعل:

أي بفعل الأمر، نحو: أَكْرِمْ أباك وأمَّك. ولا تستعمل إلا مع المخاطب فيكون الأمر بها مباشرا من الآمر الى المأمور وهو حاضر أو في حيّز الحاضر في المقام نحو:

عش بالشعور وللشعور فإنما ...دنياك كون عواطف وشعور.

ب. الفعل المضارع المقرون ب (لام الأمر)

نحوقوله تعالى :﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ الطلاق: 7.
وينشأ بها الأمر المباشر وكذلك غير المباشر (المأمور غائب ويبلغ الأمر بوساطة رسالة او رسول).

ج. اسم فعل الأمر.

[32] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 69)

نحو، "عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ "المائدة105.

المعنى الحقيقي للأمر:

الأمر موضوع لطلب الفعل على جهة الاستعلاء؛ وذلك لتبادر هذا المعنى إلى الذهن عند سماع صيغة الأمر.

المعاني المجازية لصيغة الأمر:

قد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أُخَرَ، تفهم من المقام والسياق.

ومن المعاني المجازية لصيغة الأمر ما يأتي:

- الدعاء، نحو :﴿ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾]النمل: 19[

- الإباحة: واستعمال صيغة الأمر في الإباحة إنما يكون في مقام يتوهم السامع فيه حظر شيء عليه؛ وذلك لاشتراكها هي والأمر في مطلق الإذن، فهو مجاز مرسل من إطلاق الأخص على الأعم، ومن ذلك قولك: "جالس محمدًا أو عليًا"، و"ذاكر الأدب أو البلاغة"

- التهديد: وذلك في مقام عدم الرضا بالمأمور به ومنه قوله تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: 40].

- التعجيز: وذلك في مقام إظهار عجز من يدعي القدرة على ما يعجز عنه ومنه قول الله تعالى: {وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة: 23]؛ وإنما كان تعجيزًا لأن الإتيان بسورة من مثله فوق مقدورهم وطاقتهم.

-التخيير: كقول البحتري (الطويل):

فمن شاء فليبخل ومن شاء فليجد***كفاني نداكم من جميع المطالب

* والفرق بين التخيير والإباحة: أن التخيير لا يجوّز الجمع بين الشيئين، والإباحة تجوّزه ففي الإباحة إذن بالفعل وإذن بالترك

الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل:

وأدواته: الهمزة وهل، ما، متى، أيان، كيف، أين، أنّى، كم، أي

تستعمل هذه الأدوات لطلب التصور أو التصديق.

يقصد علماء البلاغة بالتصور السؤال عن المفرد وهو خلاف الجملة ويقصدون بالتصديق السؤال عن الجملة أي عن العلاقة بين المسند والمسند إليه وعليه فإن الإجابة تكون بالنفي أو الإيجاب نحو: كيف نجحت؟ بالمثابرة والاجتهاد (تصور)

*هل تحفظ القرآن ؟ نعم (تصديق)

تنقسم أدوات الاستفهام بحسب الطلب إلى:

1-ما يطلب به التصور تارة: والتصديق تارة أخرى، وهو الهمزة

-يطلب بها التصور نحو: أنجح علي أم خالد؟ فالإجابة (خالد)

-يطلب بها التصديق نحو: أنجح علي؟ الإجابة: نعم

ملاحظة: عندما يطلب بالهمزة التصوير يجيب أن يذكر المسؤول عنه بعد الهمزة، ويجب ان يكون له معادل يذكر بعد "أم" وتسمى (متصلة) نحو "أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة" وقد يحذف المعادل مع أم نحو قوله تعالى:" أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم"

أما إذا أريد بالهمزة التصديق، فيمتنع ذكر المعادل، نحو:

أأنت الناجح؟ نعم ولا تذكر في هذا الأسلوب أم. وإن ذكرت كانت "منقطعة" بمعنى "بل" نحو قول الشاعرة قُتَيْلة بنت النَّضر بن الحارث:

هل يسمعنَّ النضر إن ناديته *** أم كيف يسمع ميت لا ينطق

2- ما يطلب به التصديق دون التصور وهو "هل" فقط.

نحو: هل قدم المسافر؟ نعم

ولذلك امتنع ذكر المعادل مع هل نحو هل قدم المسافر أم صحبه ؟

3-ما يطلب به التصور دون التصديق وهو بقية أدوات الاستفهام وهي:

ما: تستعمل مع غير العاقل كطلب:

- شرح الاسم نحو: ما اللجين؟
- حقيقة المسمى نحو : ما الإنسان؟

من: يطلب بها تعيين العقلاء نحو: من العالم فيكم؟

متى: يطلب بها تعيين الزمان ماضيا أو مستقبلا نحو: متى جئت؟ ومتى تذهب؟

أيان: يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة، وتكون في موضع التهويل نحو الآية "يسأل أيان يوم القيامة"

كيف: يستفهم بها عن الحال: كيف أنت

أين: يطلب بها تعيين المكان أين أنت

أنّى: تكون بمعنى كيف نحو:"أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا "

من أين نحو قوله تعالى: قَالَ يٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هٰذَا ۖ

متى نحو :"أنّى تمطر السماء؟

كم: يطلب بها تعيين عدد مبهم نحو:" كَمْ لَبِثْتُمْ"

أي يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما نحو: " أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا "

وهي بحسب ما تضاف إليه سأل بها عن الزمان والمكان والحال،... أي ساعة تصل؟

أغراض الاستفهام:

من بين أغراض الاستفهام التي تخرج بها عن الغرض الأصلي:

-الأمر نحو :" فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ"

-النهي" أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "

-النفي " هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلا الإحْسَانُ"

-الإنكار " أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"

-التشويق " هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"

-التهويل "ٱلْحَآقَّةُ (1) مَا ٱلْحَآقَّةُ"

-الاستبعاد" أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ "

-الاستبطاء:" مَتَىٰ نَصْرُ اللَّه "

-التهكم والتحقير قال الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ***أطنين أجنحة الذباب يضير ؟

التمني:

هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا أو بعيد المنال.

المثال الأول قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما *** فأخبره بما فعل المشيب

المثال الثاني: "

"يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ "

وللتمني أداة واحدة أصلي هي "ليت" وثلاث غير أصلية نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي وهي.

"هل" في نحو قوله تعالى: "فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا "

"لو" في نحو قوله سبحانه:" فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"

"لعل" في مثل قول الشاعر:

أَسِرْبَ القَطا هَل من مُعيرٍ جَناحَهُ *** أَسِرْبَ القَطا هَل من مُعيرٍ جَناحَهُ

*أما إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا ويعبر فيه ب"عسى" و"لعل" نحو.

-" لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا "

-" فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ "

وقد تستعمل "ليت" في الترجي لغرض بلاغي نحو قول الشاعر

فليتك تحلو والحياة مريرة*** وليتك ترضى والأنام غضاب

وهذا ليس بالمستحيل من لدن سيف الدولة المخاطب بالبيت.

كما يمكن أن تستعمل "لعل" للتمني كما أسلفنا.

النداء:

النداء ويفيد طلب المتكلم إقبال المخاطب، بحرف نائب مناب "أدعو" المنقول من الخبر الى الانشاء وادواته:

الهمزة، أي، يا، آ، آي، أيا، هيا، وا

فالهمزة وأي لنداء القريب وباقي الادوات لنداء البعيد

• وقد يعامل البعيد منزلة القريب لشدة قربه من النفس وحضوره في القلب فالمغترب ينادي وطنه "أبلادي كم اشتقت اليك"

• وقد ينزل القريب منزلة البعيد لعلو منزلته نحو:" يا مولاي!"

أو لانحطاط منزلته نحو "أيا هذا"

أغراضه: قد يخرج النداء عن معناه الاصلي الى اغراض بلاغية اخرى تحدد القرائن في السياق من ذلك

- الإغراء: عليك بها ...يا بطل.

- الاستغاثة : يالله للمسلمين
- الندبة: وامعتصماه
- التعجب: فيالك من ليل كأن نجومه..
- التحسر والتوجع: "يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا"

النهي

تعريفه: هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الالزام ، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون ب "لا" الناهية

نحو:" وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا "

أغراضه: قد يخرج النهي عن غرضه الأصلي الى أغراض بلاغية أخرى منها:

*الدعاء نحو الآية " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا "

*الدوام نحو قوله تعالى:" وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ "

*بيان العاقبة نحو"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا "

*الكراهة: نحو قولك للمصلي: "لا تلتفت و أنت في الصلاة

*التوبيخ: نحو قول الشاعر أبي الأسود الدؤلي

لا تنه عن خلق وتأتي مثله*** عار عليك إذ فعلت عظيم

ملاحظة: يستخلص غرض النهي من الحكم الذي تضمنه الجملة والأصل فيه الدلالة على التحريم والحظر والمنع، والنهي في غير ذلك كالأمر يكون استعلاء من الأدنى ودعاء مع الأعلى والتماس مع النظير إضافة إلى أغراض أخرى كالإرشاد والتهديد والتيئيس والتحقير

المحاضرة الخامسة

التقديم والتأخير ،الفصل والوصل

التقديم والتأخير

ما من شك أنّ للغة العربية نظاما يميزها ويحكم العلاقات بين المفردات والجمل ولا يُعدل عن هذا النظام إلاّ لغايات بلاغية كانت من اهتمام علم العربية مما تجلى في مباحث بلاغية منها التقديم والتأخير الذي تبنه علماء العربية منذ القدم إلى أهميته وحذروا من خطر اهماله "والواضعُ كلامه على المجازفة في التقديم والتأخير زائلٌ عن الإعراب، زائغٌ عن الصواب، متعرّض للتلبيس والتعمية" (أسرار البلاغة في علم البيان ص59)

وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته اولى بالتقدم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام

وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها

وباب التقديم والتأخير واسع لأنّه يشمل كثيرا من أجزاء الكلام، فالمسند إليه يقدم لأغراض بلاغية منها:

– أنّه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها.

أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأنّ في المبتدأ تشويقا إليه، كقول المعرى:

والذى حارت البرية فيه***حيوان مستحدث من جماد

والداعي إلى هذا التقديم تمكينُ المسند في ذهن المتلقّي، لأنَّ في المسند إليه "المبتدأ" هنا تشويقاً للتعرّف على خبره، إذ جاء فيما يتّصل به أنّه شيءٌ حارتْ البريَّةُ بأمره، فالنفس تتساءل بشوق: ما هذا الذي حارت البريَّةُ فيه؟ ويأتي الجوابُ في الخبر: "حيوانٌ مستحدثٌ من جماد"

– أن يقصد تعجيل المسرة إن كان في ذكر المسند إليه تفاؤل مثل: «سعد في دارك» أو المساءة إن كان فيه ما يتطير به مثل «السفاح في دار صديقك».

– إيهام أنّ المسند إليه لا يزول عن الخاطر مثل: «الله ربى».

– إيهام التلذذ بذكره، كقول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ...ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر

– تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي إن ولى حرف النفي مثل: «ما أنا قلت هذا»، وقول المتنبي:

وما أنا أسقمت جسمي به **ولا أنا أضرمت في القلب نارا

– تقوية الحكم وتقريره: كقوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ»

[تقديم المسند]

ويقدم المسند لأغراض منها:

– تخصيص المسند بالمسند إليه: كقوله تعالى: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» وقوله: «لَكُمْ دِينُكُمْ* وَلِيَ دِينِ. »

– التنبيه من أول الأمر على أنّه خبر لا نعت، كقول حسان بن ثابت يمدح النبى– صلى الله عليه وسلم–:

له همم لا منتهى لكبارها ...وهمّته الصّغرى أجلّ من الدهر

له راحة لو أنّ معشار جودها ...على البرّ كان البرّ أندى من البحر

أصل الكلام: "هِمَمٌ لَهُ لاَ مُنْتَهَى لِكبَارِها" لكنّ هذه الصيغة توهم أنّ "لَهُ" صفة لهمم، لأنّ النكرة تستدعي النعت أكثر ممّا تستدعي الخبر، وهو يريد أن يُثبت لممدوحه هممماً لا منتهى لكبارها، ودفعاً للتوهم الذي كان يمكن أن يحدثُ قدَّم المسند وهو "له" على المسند إليه وهو "هِمَمٌ" لا منتهى لكبارِها". (**البلاغة العربية** الميداني 1/ 379**)**

– التشويق إلى ذكر المسند إليه: كقول محمد بن وهيب:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ***شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

وقول المعرى:

وكالنار الحياة فمن رماد ...أواخرها، وأولها دخان

ومن التقديم: تقديم تعلقات الفعل عليه كالمفعول والجار والمجرور والحال، ويكون ذلك لأغراض منها:

– الاختصاص: كقوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (1)

– الاهتمام بالمتقدم: كقوله تعالى: «قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ» (2)

– التبرك: مثل «قرآنا قرأت».

– ضرورة الشعر، وهو كثير لا يحصره حدّ.

– رعاية الفاصلة: كقوله تعالى: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ»

– مراعاة تساوي أجزاء الجمل و اجتناب الثقل: " من كَرُمَت (عَلَيْه) نفسه هانت (عليه) شهواته"

هذه نماذج عن التقديم والتأخير وبلاغته و لقد نوّه القدماء والمحدثون بأهمية هذا الموضوع ويكفينا أن نذكر رأي ،واحد من أساطين البلاغة إذ يرى عبد القاهر الجرجاني :" أنه باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضى

بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان ...

غير أنه لم يجد أحداً قد اعتمد فيه شيئاً يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام، فقد ظنوا أنه يكفي أن يقال في كل شيء قدم في موضع من الكلام أنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكروا من أين كانت تلك العناية ولم كان أهم؟ ولهذا صغر أم التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه. (ينظر **دلائل الإعجاز106 وما بعدها.)**

الفصل والوصل

لقد أشاد البلاغيون بالفصل والوصل بل وجعلوه حدا للبلاغة فمما قيل فيه:

وهو دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فحدّها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعا له، ومفتقرا إليه...[33]

ومما قيل فيه أيضا" الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظا من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها، ولصعوبة ذلك جعل حدا للبلاغة، ألا ترى إلى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال: "هي معرفة الفصل والوصل"، ا

من حق الجُمل: إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض: أن تُربط بالواو لتكون على نسق واحد – ولكن قد يعرض لها ما يُوجب ترك الواو فيها: ويسمى هذا فصلا – ويقع في خمسة مواضع.

الأول – أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام: وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، ويسمى ذلك «كمال الاتصال»

الثاني – أن يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ: بدون إبهام خلاف المراد ويُسمى ذلك «كمال الانقطاع»

---

[33] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ، بيروت،2003 ج2 ص20

الثالث – أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، ويُسمى ذلك «شبه كمال الاتصال»

الرابع – أن يكون بين الجملة الأولى والثاني (جملةٌ أخرى ثالثة متوسطة) حائلة بينهما

فلو عُطفت الثالثة على «الأولى المناسبة لها» لتوهم أنها معطوفة على «المتوسطة» فُيترك العطف، ويسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع»

الخامس – أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع: وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويسمى ذلك «التوسط بين الكمالين»

مواضع الفصل: إذا ترادفت الجمل، ووقع بعضها إثر بعض ربطت بالواو العاطفة لتكون على نسق واحد. ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها إمّا لأن الجملتين متحدّتان صورة ومعنى، وإمّا لأنّهما بمنزلة المتحدتين، وإمّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

ويقع الفصل في خمسة مواضع هي:

1 – " كمال الاتصال".

وهو اتحاد الجملتين اتحادا تاما، بحيث تكون الجملة الثانية:

توكيدا للأولى، أو لا بد منها، أو بيانا لها. ومثاله:

– قال تعالى: فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً الطارق: 17.

فالجملة الثانية (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) توافق الجملة الأولى التي سبقتها لفظا ومعنى، وهي توكيد لفظي للأولى، وبذلك صارت الصلة قوية بينهما بحيث لا تحتاجان إلى رابط، لأنّ التوكيد من المؤكد كالشيء الواحد، لذا ترك العطف لعدم صحّة عطف الشيء على نفسه.

– وقال تعالى: وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ الشعراء: 132 – 133.

فالآية الثانية بمنزلة بدل البعض، لأنّ ما يعلّمونه يشمل ما في الجملة الثانية من النعم الأربع وغيرها من سائر النعم، ولم يعطف بين الجملتين بالواو لقوّة الربط بينهما.

– وقال تعالى: بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ* قالُوا أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ المؤمنون: 81 – 82.

الآية الثانية شارحة وموضّحة، وأوفى بتأدية المعنى من الأولى. فهي واقعة موقع بدل الكل من الأولى، ولذا ترك العطف لقوّة الربط بين الجملتين.

– وقال تعالى وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ يس: 20 – 21. فالآية الثانية بدل اشتمال من الأولى، لأنّ المراد من الأولى حمل المخاطبين على اتباع الرسل، والثانية أوفى لأن معناها: لا تخسروا شيئا من دنياكم وتربحوا صحّة دينكم، فيكون لكم جزاء الدنيا والآخرة، فترك العطف بين الجملتين لقوّة الربط بينهما.

– وقال تعالى وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ البقرة: 49. فصلت جملة (يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ) عن (يَسُومُونَكُمْ) لأن الثانية موضّحة للأولى فكانت بمنزلة عطف البيان، لذلك ترك العطف لقوّة الربط بينهما، لأن عطف البيان لا يعطف على متبوعه.

2 – كمال الانقطاع.

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام. وأوضح ما يكون ذلك إذا تقاطعتا:

1 – خبرا وإنشاء:

نحو "وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"

. فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأن الأولى (وَأَقْسِطُوا) إنشائية لفظا ومعنى،

والثانية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) خبرية لفظا ومعنى، فبينهما تباين تام وانقطاع كامل ممّا يستوجب الفصل بينهما.

2 – واختلافهما معنى:

نحو: نجح خالد وفّقه الله. فالثانية إنشائية لفظا خبرية معنى.

3 – ألّا يكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط:

ومثاله:

إنّما المرء بأصغريه*** كل امرئ رهن بما لديه

فلا مناسبة بين الجملة الثانية والأولى لأنّ كلّا منهما مستقلة بنفسها.

3 – شبه كمال الاتصال:

وهو أن تكون الجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى، حتّى لكأنّها جواب عن سؤال نشأ من الأولى.

ويكون السؤال عن سبب عام كما في قوله (الخفيف):

قال لي كيف أنت قلت: عليل*** سهر دائم وحزن طويل

ويكون السؤال عن سبب خاص كقوله تعالى وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ يوسف: 53. فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأنّها واقعة في جواب سؤال مقدّر، وكأنه قيل: هل النفس أمّارة بالسّوء؟ فقيل: إن النفس لأمّارة بالسوء.

وقد يفهم السؤال من السياق كقوله (الكامل):

زعم العواذل أنّني في غمرة*** صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي.

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا.

– شبه كمال الانقطاع:

وهو أن تسبق جملة بجملتين يصحّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى فيترك العطف بالمرّة، دفعا لتوهّم أنه معطوف على الثانية. نحو:

وتظنّ سلمى أنّني أبغي بها***بدلا أراها في الضلال تهيم

فجملة (أراها) يصح عطفها على جملة (تظن) لكن يمنع من ذلك توهم العطف على جملة (أبغي بها) فتكون الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنّه غير المقصود ولهذا امتنع العطف.

5 – التوسّط بين الكمالين:

وهو أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع هو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى" وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ .." البقرة: 14. لقد فصلت جملة (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) عن جملة (إِنَّا مَعَكُمْ) مع التناسب ووجود الجامع بينهما المصحح للعطف لوجود المانع، وهو أنّه لم يقصد تشريك جملة (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) لجملة (إِنَّا مَعَكُمْ) في الحكم الإعرابي، وهو أنها مفعول القول، فيقتضي ذلك أن جملة: الله يستهزئ بهم تكون من مقول المنافقين، وهي ليست كذلك بل هي من كلام الله سبحانه ولذلك فصل بينهما.

الحقيقة والمجاز وأنواع المجاز

المجاز العقلي:

تعريفه: المجاز العقلي هو اسناد الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر –من المتكلم– لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له .

علاقاته: من أشهر علاقات المجاز العقلي

1–الإسناد إلى الزمان: نحو :مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أزْمَانُ

2–الاسناد إلى المكان: قال تعالى " وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ " الأنعام6

3–الاسناد إلى المصدر: عاد وقد أنهكه الترقب والانتظار.[34]

4–اسناد ما بني للفاعل إلى المفعول، نحو قول الحطئية :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها *** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[35]

فقد أسند اسم الفاعل الطاعم الكاسي إلى ضمير المفعول، أراد اقعد فإنك أنت المطعوم المكسو ، فوضع اسم الفاعل موضع اسم المفعول على سبيل التجوز في الإسناد

5–اسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل، نحو قوله تعالى:

---

[34]الكلام المجازي هو استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له في الأصل وينقسم إلى عقلي ولغوي.

[35]معناه ان الوصف في هذا المثال (وهو القعود) اسند إلى اسم الفاعل لكنه في الحقيقة مسند إلى اسم المفعول

" إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا " اسم مفعول مسند إلى ضمير الوعد الذي هو فاعل في الحقيقة والواقع؛ لأن الوعد يأتي ولا يؤتَى، وحقيقة الإسناد مأتيًا صاحبه؛ أي: يأتيه الوعد.

" وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا "

فقد أسند اسم المفعول: {مَسْتُورًا} إلى ضمير الفاعل وهو الحجاب، والمعروف أن الحجاب ساتر لا مستور، فهو الفاعل الحقيقي للمسند، ولذلك سميت هذه العلاقة بالفاعلية.

المجاز اللغوي:

تعريفه: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي وينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة.

المجاز المرسل:

تعريفه: هو استعمال الكلمة في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

فالعلاقة –المجاز المرسل– بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي غير مقيدة بالمشابهة كما في الاستعارة إنما هي علاقات متعددة.

أما القرينة هي الدليل الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي.

علاقات المجاز المرسل: وهي كثيرة نذكر منها.

1–السببية: وفيها يذكر السبب ويراد به المسبب، نحو: رعت الماشية والغيث.

2–المسببية: وفيها يذكر الكل ويراد به السبب، ومنه قوله تعالى،" وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ج "

3–الكلية: يذكر الكل ويراد به الجزء " يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم"

4–الجزئية: يذكر الجزء ويراد به الكل نحو:" فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ "

5-اعتبار ما كان: ذكر الشيء بحسب ما كان نحو:" أسلم الكافر" و" وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ و قولنا "تلبس القطن في الشتاء"

6-اعتبار ما سيكون، ذكر الشيء بحسبما سيكون عليه في المستقبل نحو:" إِنِّيٓ أَرَانِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ"

7-الحالية: وفيه يذكر الشيء الحال ويقصد به المحل قال تعالى: فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ" وفي قوله تعالى: "خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ " ذكر الزينة (الحال)وقصد اللباس (المحل)"

8-المحلية: وفيها يذكر المحل ويقصد الحال فيه نحو(فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ..."

9 -الآلية: وفيها تذكر الآلة ويقصد الاثر الناتج عنها نحو: " وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ" القصد هو: الذكر الحسن

10-العموم: وهو ان يذكر العام لكن القصد هو الخاص، قال تعالى: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ.." والمراد هو النبي صلى الله عليه وسلم.

11-الخصوص: وهو عكس العموم، كأن يطلق اسم الجَد عل القبيلة جميعها "ربيعة –قريس ..."

12-البدلية: وفيها يذكر البدل ويراد به المبدل منه، نحو " فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ " والمراد: أدّيتم"

13-المبدلية: يذكر المبدل منه ويراد به نحو، طالب أهل القتيل بدم ابنهم (والمراد: الدية)

14-المجاورة: وهي كون الشيء مجاورا لشيء آخر نحو: كلّمت الجدار (المراد: الجالس بجواره)

المحاضرة السابعة

التشبيه

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل «شبّه» بتضعيف الباء، يقال: شبّهت هذا بهذا تشبيها، أي مثّلته به.

التشبيه اصطلاحا: بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدّرة المفهومة من سياق الكلام.

وأركان التشبيه أربعة.

(1) المُشبه: هو الأمر الذي يُراد الحاقه بغيره

(2) المُشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه

(3) وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه – وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه.

(4) أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدلُ على التشبيه، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تَذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمرُ في رعيَّته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

طرفا التشبيه:

ينقسم طرفا التشبيه (المشبّه والمشبّه به) إلى حسيّين أو عقليين، أو مختلفين.

1 – الطرفان الحسّيان:

وهما اللذان يدركان بإحدى الحواس. ويكونان:

أ– من المبصرات:

إذا كانا يدركان بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما إلى ذلك، كقول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء ... تجتليك العيون شرقا وغربا

شبّه الممدوح بالنجم في رفعته وضيائه وذكر العيون آلة البصر التي ترى المشبّه والمشبّه به. فالطرفان حسّيان يقعان تحت البصر.

ومثله تشبيه الخدّ بالورد، وتشبيه الوجه بالقمر، وتشبيه الشعر بالليل.

ب– ويكونان من المسموعات،

مثال ذلك تشبيه صوت المغنّي بصوت البلبل،

ج– ويكونان من المذوقات:

ومنه تشبيه الريق بالشهد والخمر، أوتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر،

ويكونان في المشمومات:

كتشبيه رائحة أنفاس الطفل بعطر الزهر.

هـ– ويكونان في الملموسات:

كتشبيه بشرة الطفل الرضيع في النعومة بالحرير

– الطرفان العقليّان:

وهما اللذان يدركان بالعقل والوجدان، والمقصود بالوجدان تلك المشاعر النفسية من ألم، ولذّة، وغضب، ورضا، وسعادة، وشقاء، وما إلى ذلك.

فلو شبّهنا العلم بالحياة كان طرفا التشبيه عقليّين، فلا العلم محسوس ولا الحياة وإنّما يدركان بالعقل وحده.

– أو مختلفان: وذلك بأن يكون أحدهما عقليا والآخر حسيّا، كتشبيه المنيّة بالسبع، والمعقول هو المشبه، والمحسوس هو المشبه به، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم، فالمشبه وهو العطر محسوس بالشم، والمشبه به وهو الخلق عقليّ. ومنه تشبيه العلم بضياء الشمس. ومنه قول شوقي

سقياً لعهدٍ كأكناف الرُّبى رفةً ***أَنَّى ذهبنا وأعطاف الصَّبا لينا

إذِ الزمانُ بنا غيناءُ زاهيةٌ ***ترفٌ أوقاتُنا فيها رَيَاحينا

فقد شبه العهد وهو عقلي بأكناف الربا وهي حسية، وشبه العهد– أيضًا– وهو عقلي بأعطاف الصبا وهي حسية.

كما أنه قد شبه الزمان "وهو عقلي" بغيناء زاهية، أي شجرة خضراء كثيرة الأغصان "وهي حسية" وشبه الأوقات "وهي عقلية" بالرياحين "وهي حسية"

والتشبيه الحسي الذي يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس يدخل فيه أو يلحق به التشبيه «الخيالي». والتشبيه الخيالي هو المركب من أمور كل واحد منها موجود يدرك بالحسّ، لكن هيئته التركيبية ليس لها وجود حقيقي في عالم الواقع، وإنما لها وجود متخيّل أو خيالي.

أدوات التشبيه :

هي ألفاظ تدل على المماثلة والاشتراك بين أمرين، و قد تكون حروفًا، وقد تكون أسماء، وقد تكون أفعالًا؛ فالحروف تتمثل في الكاف، وكأن.

أما الكاف فهي الأصل لبساطتها، وتفيد المشابهة في جميع استعمالاتها، والأصل فيها أن يليها المشبه به كقوله تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} (الرحمن: 24) وقول الشاعر:

أنت كالشمس في الضياء وإن*** جاوزت كيوانا في علو المكان

وكيوانا: اسم لكوكب زحل، فنجد أن لفظ الأعلام في الآية الكريمة، ولفظ الشمس في البيت، قد ولي الكاف، وهما مشبهان بهما، فإن وليها غير المشبه به؛ كان مقدرًا بعدها، كما في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} (البقرة: 19)، فالمشبه به في الآية محذوف تقديره: أو كمثل ذوي صيب؛ لأن الأصل أن يكون التشابه بين المعطوفات فيه تماثل، فهنا عطف، أو عطف {كَصَيِّبٍ} على قوله {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}، فإن وليها غير المشبه به كان مقدرًا بعدها كما في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} (البقرة: 19)، فنجد أن المشبه به في الآية محذوف تقديره: أو كمثل ذوي صيب بدليل قوله في الآية {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} (البقرة: 19).

وتأتي الأداة أحيانًا اسمًا من أمثال مثل شبه مماثل محاكٍ مشابه مضاهٍ، ونحوها مما يؤدي معنى المشابهة، فإذا كان الاسم جامدًا وليه المشبه به نحو: هذا الرجل مثل الأسد، وشبه البدر، وإن كان مشتقًّا وليه المشبه نحو: أنت مماثل الأسد، ومحاكٍ البدر، ومشابه عمرو، ومضاهٍ حاتمًا؛ فقد ولي الاسم في هذه الأمثلة الضمير العائد على المشبه،

ويأتي كذلك أداة التشبيه فعلًا مثل: شابه وحاكى، ويشابه، ويضاهي، ونحوها من الأفعال المتعدية الدالة على معنى المشابهة، فإذا كانت الأفعال لازمة كتشابه وتماثل؛ فإنها لا تدل على التشبيه، ويلحق بها أفعال الظن والرجحان

وجه الشبه:

هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، أو الصفة الجامعة بينها، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبّه به منه في المشبّه.

مثال:

قصور كالكواكب لامعات*** يكدن يُضئن للسّاري الظلاما

أنواع التشبيه:

التشبيه باعتبار الأداة:

و يقسم البلاغيون التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكد:

1 – فالتشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، نحو:

قول الشاعر:

العمر مثل الضيف أو*** كالطيف ليس له إقامة

وقول المتنبي في هجاء إبراهيم بن إسحاق:

وإذا أشار محدثا فكأنه*** قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وإنما سمي هذا القسم مرسلاً، لأنه أرسل عن التأكيد، أي: خلا منه.

2 ـ والتشبيه المؤكد: هو ما حذفت منه أداة التشبيه، وتأكيد التشبيه حاصل من ادعاء أن المشبه عين المشبه به، وذلك نحو قوله تعالى: "وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ" أي أن الجبال ترى تمر كمر السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.

ومنه شعرا قول المتنبي مادحا:

أين أزمعت أيهذا الهمام*** نحن نبت الرّبا وأنت الغمام

ومن التشبيه المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، بعد حذف الأداة، وتقديم المشبه به على المشبه، كقولك: "لبس محمد رداء العافية".

التشبيه باعتبار وجه الشّبه:

تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى مجمل مفصل

فالمجمل هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، وهو قسمان:

1– ظاهر يفهمه كل أحد كأن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه والحلقة في وجه آخر، وكقوله:

إنما الدنيا كبيت *** نسجته العنكبوت

2- خفي لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع، بل يحتاج إلى تأويل كقول كعب بن معدان الأشعري في وصف بني المهلب "هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها"، فهذا يحتاج إلى فضل تأمل ورفق، ولا يفهمه إلا من ارتفع عن طبقة العامة ودخل في عداد الخاصة.

أما المفصل: هو ما ذكر فيه وجه الشبه، وذلك نحو قول الشاعر:

كم وجوه مثل النهار ضياء*** لنفوس كالليل في الإظلام

فالبيت هنا فيه تشبيهان وجه الشبه في الأول «ضياء» وفي الثاني «الإظلام» وكلاهما مذكور في التشبيه.

وقول آخر:

أنت كالبحر في السماحة، والش*** مس علوا، والبدر في الإشراق

فهذا البيت يشتمل على ثلاثة تشبيهات ذكر في كل منها وجه الشبه، وهو في التشبيه الأول «السماحة» وفي الثاني «العلو» وفي الثالث «الإشراق».

فكل تشبيه من التشبيهات التي تضمنتها هذه الأمثلة تشبيه مفصّل، لأن وجه الشبه قد ذكر فيه.

التشبيه البليغ :

هو ما حُذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه، وذكر فيه الطرفان فقط وسبب تسميته بذلك أن حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين، وعدم تفضالهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه أما ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به، كما أن ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه وحصره في جهة واحدة.

وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس: وأدعى إلى تأثرها واهتزازها،

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤه*** والنبت فيروزج والماء بلور

الأرض ياقوتة «تشبيه بليغ المشبه الارض، والمشبه به ياقوته – وهما حسيان مفردان، ووجه الشبه محذوف، وهو الخضرة في كل، والاداة محذوفة والغرض منه تحسينه «والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج «والماء بلور» كذلك

وقول الآخر:

فَاقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالاً إِنَّما*** أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الأَسْفَارِ

شبّه الأعمار بالسَّفر، على طريقة التشبيه البليغ الذي لم تذكر فيه أَداة التشبيه، ولا وجه الشبه

التشبيه التمثيلي:

وهو ما كان وَجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد: – حسيا كان أو غير حسي، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه*** يوافى تمام الشهر ثم يغيب

فوجهُ الشبه سرعة الفناء – انتزاعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا، فيصير بدراً، ثم ينقصُ حتى يدركه المحاق

ويسمى تشبيه التمثيل

ومنه قول بشّار بن بُرْد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا*** وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فشبَّه صورة الْغُبَار المثار بحركة القتال والذي تتهاوى داخله أسْياف المقاتلين على أعدائهم بصورة لَيْلٍ تتهاوَى على الأرض كواكبه.

ووجه الشبه الجامع بينهما الهيئة الحاصلة من هُوِيَّ أجرامٍ مشرقة مستطيلة مُتَنَاسبة المقدار، ومتفرقة، في جوانب شيءٍ مظلم، وتظهر فيها الحركة التي زادت التمثيل حسناً.

التشبيه الضمني:

هو تشبيهٌ لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على امكان ما أسند إلى المشبه،

كقول المتنبي:

من يهن يسهل الهوانُ عليه*** ما لجُرحٍ بميَّت إيلامُ

(أي إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمّله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلا (لأن الميت إذا جرح لا يتألم) ، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

ومن بواعث ذلك التفنّن في أساليب التعبير، والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه، لأنه كلما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس.

ولنأخذ مثالا لذلك، قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم*** وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فهو هنا يريد أن يقول: إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك لأن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام.

فهذا الكلام يوحي بأنه تضمن تشبيها غير مصرّح به؛ فالشاعر يشبّه ضمنا حاله وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه عند ما ألّمت بهم الخطوب بحال البدر يطلب عند اشتداد الظلام. فهو لم يصرّح بهذا التشبيه وإنما أورده في جملة مستقلة وضمنه هذا المعنى في صورة برهان.

ومن أهم مزايا هذا التشبيه ما يأتي:

لا تظهر فيه الأداة أو وجه الشّبه بشكل صريح.

– لا يرتبط فيه المشبّه بالمشبّه به ارتباطهما المعروف في باقي أنواع التشبيه، بل تلمح بينهما العلاقة من خلال المعنى الذي يكاد يخفيه التشبيه.

– هو أبلغ من غيره، وأنفذ في النفوس والخواطر لاتخاذه جانب التلميح واكتفائه به.

– يكثر وروده في الحِكم والمواعظ والأمثال.

– كثيرا ما يأتي في جملتين متواليتين لكلّ منهما معناها المستقل. [36]

التشبيه المقلوب :

لاحظ البيانيون أنّ عاقد التشبيه قد يحلو له أحياناً أن يجعل المشبَّهَ في كلامه مشبّهاً به، ويجعل المشبّه به مُشَبَّهاً، ليَدُلَّ بصنيعه هذا على أنّ وجود وجْهِ الشّبَه في المشبَّه أقوى وأظهر من وجوده في المشبَّهِ به. وقد وضعوا له اسم "التشبيه المقلوب".

ومن نماذجه:

قول محمد بن وُهَيْبِ الْحِميري يمدح الخليفة المأمون:

وبدا الصّباح كأنّ غرّته*** وجه الخليفة حين يمتدح

فالمشبّه هنا هو ضوء الصباح في أول تباشيره، والمشبه به هو وجه الخليفة عند سماعه المديح. فالتشبيه مقلوب، والأصل فيه هو العكس، لأن المألوف أن يشبّه الشيء دائما بما هو أقوى وأوضح منه في وجه الشبه؛ ليكتسب منه قوة ووضوحا. ولكن الشاعر تفننا منه في التعبير عكس القضية وقلب التشبيه للمبالغة والإغراق بادّعاء أن الشبه أقوى في المشبّه. جعل وَجْه الخليفة كأنه أعرفُ وأشهرُ وأتمُّ وأكملُ في النور والضياء من الصَّباح، فجعل ما هو أصل في الضياء –وهو الصباح– مشبهًا، وما هو فرع فيه –وهو وجه الخليفة– مشبهًا به؛ قصدًا إلى المبالغة في إعلاء شأن المأمون، وتأكيد مدحه بإشراق الوجه.

ومنه قول شاعر آخر:

أحنّ لهم ودونهم فلاة*** كأن فسيحها صدر الحليم

فالشاعر في هذا البيت شبّه فسيح الفلاة بصدر الحليم، فالتشبيه كما ترى مقلوب، إذ المعهود تشبيه صدر الحليم بالفلاة. ولكن الشاعر رغبة منه في المبالغة بادّعاء أن صدر الحليم أفسح من الصحراء عكس التشبيه.

---

[36] علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» 173

القيمة البلاغية للتشبيه

التشبيه من أوسع ألوان البيان استعمالا وكما يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني – يكسو المعاني أبهة، ويكسبها شرفاً، ويرفع من أقدارها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ويستميل القلوب إليها، ويستنير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، ويجبر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً.

فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وإن كان ذماً كان مسه أوجع، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعد، وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب.

ولا يقتصر الأمر على هذا بل يعد التشبيه أساس أنواع أخرى من المجازسيأتي تفصيلها في المحاضرة القادمة

المحاضرة الثامنة

الاستعارة

تعد الاستعارة وهي من المجاز اللغوي من أجلّ فنون البيان وأهمها لما تضفيه من جمال على الكلام أشار لها الجاحظ (ت255 هـ) وابن المعتز(ت296 هـ) وأشاد بها عبد القاهر الجرجاني : "اعلم أنّ الاستعارة ...أمَدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْراً، وأذهبُ نَجْداً في الصِّناعة وغَوْراً، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعُوبها، وتُحصَر فنونها وضروبها، نعم، وأسحَرُ سِحْراً، وأملأ بكل ما يملأ صَدْراً، ويُمتع عقلاً، ويُؤْنِس نفساً، ويوفر أُنْساً ... تُخرج لك من بَحْرها جواهرَ إن باهَتْها الجواهرُ مَدَّت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصرُ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسنَ لا تُنكَر..."

تعريف الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: طلب العارية، والعارية: ما يتداولوه بينهم، فالاستعارة إذن مأخوذة من نحو قولهم: استعرت الشيء استعارة.

فإذا ما استعرت كتابًا من صديق– مثلاً– فأنت مستعير، والصديق مستعار منه، والكتاب: مستعار، وهذه العملية تسمى: استعارة.

فإذا ما أخذت لفظًا موضوعًا في اللغة لشيء ووضعته لشيء آخر كنت قد استعرت ذلك اللفظ، غير أن الاستعارة لا تأتي إلا بعد المبالغة في التشبيه وتناسيه .

أما في اصطلاح البيانيين فالاستعارة: استعمال لفظٍ ما في غير ما وُضِع له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب.

وهي من قبيل المجاز في الاستعمال اللّغوي للكلام، وأصلُها تشبيهٌ حُذِفَ منه المشَبّه وأداةُ التشبه ووجْهُ الشَّبَه، ولم يبق منه إلاَّ ما يدلُّ على المشبّه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدالّ على المشبَّه به، أو استعارة بعض مشتقّاته، أوْ بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلاً عن ذكر لفظ المشبَّه، مُلاَحَظاً في هذا الاستعمال ادّعاءُ أنَّ المشبَّه داخل في جنس أو نوع أو صِنْف المشبّه به، بسبب مشاركته له في الصفة الّتي هي وجه الشَّبَهِ بينهما،

ولعلنا نلحظ من ذلك صلة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي للاستعارة ومعناها المجازي، إذ لا يستعار أحد اللفظين للآخر في واقع الأمر إلا إذا كان هناك صلة معنوية تجمع بينهما.

أركان الاستعارة:

1- المستعار منه، وهو ذات المشبه به .

2- المستعار له، وهو ذات المشبه.

3- المستعار .[37]

تنقسم الاستعارة انقساماً أوليّاً إلى قسمين:

القسم الأول: الاستعارة في اللّفظ المفرد، وهي التي يكون المستَعارُ فيها لفظاً مفرداً،

القسم الثاني: الاستعارة في اللّفظ المركّب، وهي الّتي يكون اللَّفْظُ المستعار فيها كلاماً مركباً من عدّة ألفاظ مفردة.*

والاستعارة قسمان: مصرحة ومكنيةٌ.

القسم الأول: الاستعارة التصريحية وهي الّتي يُصَرَّحُ فيها بذات اللّفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبّه به حين كان الكلام تشبيهاً، قبل أن تُحْذَف أركانه باستثناء المشبَّهِ به، أو بعض صفاته أو خصائصه، أو بعض لوازمه الذهنيّة القريبة أو البعيدة، مثل:

(1) وقف الغضنفر على المنبر، وارتجل خُطْبَتَهُ العصماء، على عِلْيَةِ القوم والدّهماء.

---

[37] البلاغة العربية (2/ 235)

*ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (ص: 173)

إنّ كلمة "الغضنفر" التي هي بمعنى "الأسد" قد استعيرت بذاتها من الحيوان المفترس، وأُطْلِقَتْ على الأمير المبعوث لقومٍ أهل شقاق وخلاف.

فهي في هذا المثال استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بذات اللّفظ المستعار.

القسم الثاني المكنيةُ: وهي التي حذف فيها المشبهُ به ورمز إليه بشيء من لوازمه كقوله:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

استعار الوحش المفترس للمنية ثم حذفهُ وكنى عنه بشيء من لوازمه وهو إنشابُ الأظافر على سبيل الاستعارة المكنية.

أما باعتبار اللفظ فقد قسموا الاستعارة إلى قسمين :

1- استعارة أصلية، وهي ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس، وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين ولو تأويلا نحو أسد، وقتل إذا استعير للشجاع والضرب الشديد، ونحو: حاتم وقس من قولك: رأيت اليوم حاتما، وسمعت اليوم قسا يخطب، ومثلهما كل ما شاكلهما من الأعلام التي اشتهرت مسمياتها بوصفية.

وإجراء الاستعارة في مثل هذا أن يقال شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل، واستعير لفظ الأسد الشجاع على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وشبه الرجل الكريم بحاتم بجامع الكرم في كل، واستعير لفظ حاتم للكريم استعارة تصريحية أصلية.

2- استعارة تبعية، وهي ما يكون المستعار فيها:

أ-فعلا ب- اسما مشتقا ج- حرفا.[38]

فالأول، نحو: عضنا الدهر بنابه، فقد شبّه وقع المصائب بالعض بجامع الإيلام

في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض بمعنى الإيلام عض بمعنى آلم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

[38] علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 274 وما بعدها..)

هذا إذا كان التجوز في الفعل باعتبار حدثه، فإن كان باعتبار زمانه كان التغاير بين المصدرين باعتبار القيدين نحو: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} 1، أي: ينادي فيقال شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق وقوعها، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، واشتق منه نادى بمعنى ينادي على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

والثاني نحو: جليل عملك ناطق بفضلك، شبهت الدلالة بالنطق بجامع إفهام الغرض في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من النطق بمعنى الدلالة ناطق بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} 2، فالمرقد مكان الرقاد استعير للقبر بجامع خفاء الأثر في كل، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت مرقد بمعنى مكان الموت وهو القبر استعارة تصريحية تبعية.

والثالث، نحو: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} 3، فقد شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الغائية عليه بجامع مطلق ترتب شيء على شيء فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعيرت اللام الموضوعة لكل جزئي من جزئيات العلة الغائية كالمحبة والتبني للام التي تدل على العداوة والحزن استعارة تصريحية تبعية، وإلى هذا يشير قول الزمخشري: معنى التعليل في اللام وارد على طريق المجاز؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله.

ثم قال: وهذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد.

الاستعارة باعتبار الملائم

ذكرنا فيما سبق أن الاستعارة تنقسم باعتبار طرفيها إلى تصريحية ومكنية، وباعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية، وهنا نذكر أنها تقسم باعتبار الملائم تقسيما ثالثا إلى مرشحة، ومجردة، ومطلقة.

1 – فالاستعارة المرشحة: هي ما ذكر معها ملائم المشبه به، أي المستعار منه.

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ.

ففي هذه الآية الكريمة استعارة تصريحية في لفظة «اشتروا» فقد استعير «الاشتراء» «للاختيار» بجامع أحسن الفائدة في كل، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي «الضلالة».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه هـ «الاشتراء»، وهذا الشيء هو «فما ربحت تجارتهم». ومن أجل ذلك تسمى «استعارة مرشحة» ..

ومن أمثلة الاستعارة المرشحة أيضا قول الشاعر:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ ***كلا كله أناخ بآخرينا

ففي هذا البيت استعارة مكنية في «الدهر» فقد شبه الدهر بجمل ثم حذف المشبه به «الجمل» ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «الكلاكل»، وقد تمت لهذه الاستعارة قرينتها وهي «إثبات الكلاكل للدهر».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة المكنية التي استوفت قرينتها رأينا أنها قد ذكر معها شيء يلائم المشبه به «الجمل»، وهذا الشيء هو «أناخ بآخرينا». ولهذا تسمى استعارة «مرشحة».

من ذلك يتضح أن الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية إذا استوفت قرينتها وذكر معها ما يلائم المشبه به فإنها تسمى استعارة «مرشحة».[39]

2 – والاستعارة المجردة: هي ما ذكر معها ملائم المشبه، أي المستعار له.

أ– ومن أمثلة ذلك قول القائل: «لا تتفكهوا بأعراض الناس، فشرّ الخلق الغيبة».

ففي قوله: «لا تتفكهوا» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبّه «التكلم في الأعراض «بالتفكه» بجامع أن بعض النفوس قد تميل إلى كل، ثم اشتق من «التفكه» تفكه بمعنى تكلم في العرض، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي «بأعراض الناس».

وإذا تأملنا الاستعارة رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه «التكلم في الأعراض»، وهذا الشيء هو «فشرّ الخلق الغيبة» ولهذا السبب يقال إن الاستعارة «مجردة».

---

[39] ينظر علم البيان (ص: 186وما بعدها)

والاستعارة المطلقة: هي ما خلت من ملائمات المشبه به والمشبه، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المشبه به والمشبه معا.

أ- فمن أمثلة الاستعارة المطلقة قوله تعالى:" إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ". ففي لفظة «طغى» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبّه فيها «الزيادة» «بالطغيان» بجامع تجاوز الحد في كل، ثمّ اشتقّ من «الطغيان» الفعل طغى بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي «الماء».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة بعد استيفاء قرينتها رأيناها خالية مما يلائم المشبه به والمشبه. ولهذا تسمى استعارة «مطلقة».

ب- ومن أمثلتها أيضا قول المتنبي يخاطب ممدوحه:

يا بدر يا بحر يا غمامة يا*** ليث الشرى يا حِمام يا رجل

ففي هذا البيت استعارة تصريحية في كل من: «بدر» و «بحر»

و «غمامة» و «ليث الشرى» و «حمام». فالمشبه هنا الممدوح، والمشبه به هو «البدر» مرة، و «البحر» مرة ثانية، و «الغمامة» مرة ثالثة، و «ليث الشرى» مرة رابعة، و «الحمام» مرة خامسة. والقرينة في كل استعارة هي النداء.

إذا تأملنا كل استعارة من هذه الاستعارات بعد استيفاء قرينتها رأيناها كذلك خالية مما يلائم المشبه به والمشبه. ولهذا السبب تسمى استعارة «مطلقة».

الاستعارة في المركب: هي كما سبق بيانُه في المقدِّمة استعارة يكون اللّفظ المستعار فيها لفظاً مُرَكَّباً، وهذا اللّفظ المركب يستعمل في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح به التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصليّ، ويسمّى "الاستعارة التمثيليّة" وقد يطلق عليه "الاستعارة على سبيل التمثيل" أو نحو ذلك من عبارات[40].

وهذه الاستعارة شائعة في الأمثال السائرة نثرا وشعرا ومن خصائصها:

[40] البلاغة العربية (2/ 265) وعلوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 212)

– حذف المشبّه عادة.

– وحذف أداة التشبيه.

ومن نماذجها:

قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرٍ مرَّتَيْن" هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَل على سبيل "الاستعارة التمثيليّة" للتحذير من تكرار العمل الذي جَرَّ مُصِيبة في نفسٍ أو مالٍ، أو أفضى إلى أمْرٍ غير محمود.

يقال فيمن يعمل عملاً لا جدوى منه، ويَبْذُلُ فيه جَهْداً ضائعاً:

* "ينْفُخُ في رماد".

* "تَضْرِبُ في حَدِيدٍ بارِد".

* "يَحْرُثُ في البحر".

ومنها أيضا قول المتنبّي (الوافر):

ومن يك ذا فم مرّ مريض ... يجد مرّا به الماء الزلالا.

يصاب الإنسان المريض بمرارة في فمه حتى إذا شرب الماء العذب تذوّقه مرّا كالحنظل. ولكنّه لم يقصد هذا المعنى الظاهر من البيت بل قصد فيه حسادّه وعائبي شعره فنسب هذا العيب الى ذوقهم الشعرّي المريض وضعف إدراكهم الأدبي. فالمشبّه هنا حال حسّاده والمشبّه به حال المريض الذي يجد الماء الزّلال مرّا. لهذا كانت الاستعارة تمثيلية.

مكان الاستعارة من البلاغة

الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى.

وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية على أنّها عمد الإعجاز وأركانه، وعلى أنّها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وتوجب الفضل والمزية، فإنّهم يجعلون المجاز والاستعارة عنوان ما يذكرون وأوّل ما يوردون.

وكما يقول عبد القاهر الجرجاني إنّ فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنّها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد ...

ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها: أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصَّدَفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .

الكناية

الكناية: لغة: ما يتكلم به الإنسان ويرد به غيره

واصطلاحا: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته نحو قول امرئ القيس:

وقد اغتدي والطير في وكناتها *** بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فقوله "الطيور في وكناتها" كناية عن البكور.

ومع ذلك يجوز إرادة المعنى الحقيقي، وهذا هو الفرق بين الكناية والمجاز.

أنواع الكناية:

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام

1-كناية عن صفة: نحو قول امرئ القيس السابق، ففيه الكناية عن صفة البكور.

بعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ولهذا القسم من الكناية نوعان:

أ-كناية قريبة: وفيها يكون الانتقال إلى المعنى المراد قريبا دون وسائط كقول احدهم يصف امرأة بطول رقيبتها:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل *** أبوها وإما عبد شمس وهاشم

ب–كناية بعيدة: وفيها يكون الانتقال إلى المعنى المقصود بحاجة إلى وسائط، كقول الخنساء في صخر:

طويل النجاد رفيع العماد *** كثير الرماد إذا ما شتا

فكثرة الرماد كناية عن صفة الكرم. لأن كثرة الرماد تعني كثرة النيران التي تعني كثرة الطبخ وهذا يقتضي كثرة الضيوف.

وعكس قول الشاعر:

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم *** طبخ القدور ولا غسل المناديل

2–كناية عن موصوف: كقول البحتري يصف معركته مع الذئب:

وأتبعتها أخرى وأضللت نصلها *** بحيث يكون اللب والرعب والحقد

"فاللب والرعب والحقد" كناية عن القلب.

والمكني عنه يمكن أن يكون مجموعة معان تدل على شيء واحد كما في المثال السابق.

أو أن يكون معنى واحدا كقول أبي نواس:

فلما شربناها ودب دبيبها *** إلى موطن الأسرار قلت لها قفي.

ف"موطن الأسرار" معنى واحد يكنى به عن القلب[41]

3–الكناية عن نسبة: وتعني نسبة أمر إلى آخر إثباتا أو نفيا ،كقول الشاعر:

اليمن يتبع ظله *** والمجد يمشي في ركابه

فالشاعر في هذا البيت بدل أن يصف الممدوح بأنه ميمون الطلعة، قال إن اليمن يتبعه أينما سار، وإتباع اليمن ظله يستلزم نسبته إليه.

[41] يشترط في هذا القسم من الكناية أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف ولا تتعداه إلى غيره ليحصل الانتقال منها إليه.

فكناية النسبة كما يتضح من الأمثلة السابقة تتمثل في العدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتصال به. وأظهر علامة لهذه الكناية أن يصرح فيها بالصفة كما رأينا في الأمثلة السابقة

وتتفرع هذه الكناية بالنظر إلى المنسوب إليه إلى:

أ-إما أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها، كقول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى *** في قبة ضربت على ابن الحشرج

ب- أو يكون ذو النسبة غير مذكور كقولك:

"خير الناس من ينفع الناس" تقولها للذي لا ينفع الناس.

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط والسياق إلى أربعة أقسام:

1-التعريض: وهو في اللغة، عكس التصريح ومعناه، أن يطلق الكلام ويشار به الى معنى آخر يفهم من السياق كقوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" تقولها للذي يؤذي المسلمين ،فكأنك تنفي عنه صفة الإسلام.

2-التلويح: لغة أن تشير إلى غيرك عن بعد

واصطلاحا: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض ومثاله قول الخنساء السابق (كثير الرماد)

3-الرمز: لغة: أن تشير إلى قريب منك خفية (نحو الإشارة بالشفة أو الحاجب...)

واصطلاحا: هو الذي قلت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض كقولهم: فلان غليظ الكبد، كناية عن القسوة

عريض الوسادة: كناية عن البلاهة

4-الإيماء أو الإشارة: هو الذي قلت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أوَ ما رأيت المجد ألقى رحله *** في آل طلحة ثم لم يتحول

الكناية عن كونهم أمجادا.

الطباق والمقابلة

الطباق وتسمَّى: المطابقة، والتكافُؤ، والتضاد

الطِّبَاقُ في اللّغة: وضْعُ طَبَقٍ علَى طَبَقٍ، كوضْعِ غِطَاء الْقِدْر مُنكَفِئاً على فَمِ الْقِدْر حتَّى يُغَطِّيَهُ بإحكام، ومنه إطباقُ بطْنِ الكفِّ علَى بَطْنِ الكفّ الآخر، تقول: طابَقَ الشيءَ على الشيءِ مُطَابقةً وطباقاً، أي: أطبَقَهُ عليه، وهذا الإطباق يقتضي في الغالب التعاكس، فبَطْنُ الغطاء على بَطْنِ القدر يقتضي أن يكون ظهر الغطاء إلى الأعلَى وظَهْرُ الْقِدْرِ إلى الأَسفل.

ومنه طابقت الناقة إذا وضعت رجلها في موطئ يدها في المشي

والطباقُ في الاصطلاح: هو الْجَمْعُ في العبارة الواحدة بين معنَيْيْنِ متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهاماً، ولا يشترط كون اللّفظين الدَّالَّيْن عليهما من نَوْع واحدٍ كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط. والتقابل بين المعاني له وجوه، منها ما يلي:

(1) تقابل التناقض: كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب.

(2) تقابل التضاد: كالأسود والأبيض، والقيام والقعود.

(3) تقابل التضايُف: كالأب والابن، والأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق.

ومن الطباق نوع يختصُّ باسم "الْمُقَابلة".

المقابلة: هي طباقٌ مُتَعَدِّدُ عَنَاصرِ الفريقَيْنِ المتقابلَيْنِ، وفيها يؤتى بمعنَيْين فأكْثر، ثُمَّ يُؤْتَى بما يُقابلُ ذلِكَ على سبيل الترتيب.

والعنصر الجماليُّ في الطباق هو ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنّ المتقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات.

المثال الأول: قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (آل عمران) :

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(27)

[الآيات: 26 – 27] .

و في هذا الآيات أَرْبَعَةُ نماذج من الطباق:

الأول: الطباق بَيْن: "تُؤْتِي"، و"تَنْزِعُ" فهذا متقابلان تقابل تضاد.

الثاني: الطباق بين: "تُعِزُّ" و"تُذِلُّ" وهو كالأول.

الثالث: الطباق بين: "تُولجُ اللَّيْل في النهار" و"تُولجُ النَّهار في اللّيْل".

الرابع: المقابلة بين: "وتُخْرِج الْحَيَّ مِنَ الْمَيّتِ" و"تُخْرِجُ الْمَيتَ مِنَ الْحَيّ"، ويلاحظ هنا أنّ في كُلٍّ من الجملتين طباقاً، وأن في الجملتين معاً مُقَابلة، فالحيُّ في الأولى يضادُّ الميّت في الثانية، والميّتُ في الأولى يضادُّ الحيَّ في الثانية، وقد جاء هذا التقابل في الثانية على الترتيب الذي جاء في الأولى.

المثال الثاني: قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (الكهف/ [الآية: 18] .) في قصّة أهل الكهف:

"وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ"

في هذا الآية طباقان:

الأول: الطباق بين: "أَيْقَاظاً" و"رقود".

الثاني: الطباق بين: "ذاتَ الْيَمِينِ" و"ذاتَ الشِّمَالِ".

المثال الثالث: قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (البقرة[الآية: 286]) :

{لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت ... }.

في هذا النصّ طباق بين المعنى الذي دلّ عليه الحرف في [لَهَا] والمعنى الذي دلَّ عليه الحرفُ في [عَلَيْهَا] فَلفْظُ "لَهَا" على الثواب، ولفظ "عليها" دلَّ على المؤاخذة أو العقاب.
وطباق بين المعنى الذي دلّ عليه فعل "كَسَبَ" وهو الطاعة وفعل الخير، والمعنى الذي دلَّ عليه فعل "اكْتَسَبَ" وهو المعصية والذّنب.

المثال الرابع: أثنى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأنصار بقوله كما جاء في بعض كتب السيرة والأخبار:

"إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع".

في هذا القول مقابَلَةٌ بين الكَثْرَةِ والْفَزَعِ مِنْ جهة، والقلّة والطَّمَعِ من جهة أُخْرى.

المثال الخامس: قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (الروم/[الآيات: 7 – 8]) :

"وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ 6 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ"--

في هذه الآيات طباق بين النفي في: "لاَ يَعْلَمُونَ" والإثباتِ في عبارة: "يَعْلَمُون" وهو طباق سلْبٍ وإيجاب.

ونظيره الطباق بين الأمْر والنهي، والترغيب والترهيب، والإغراء والتحذير، ونحو ذلك.

المثال السادس: قول "دِعْبل الخزاعي".

لاَ تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

في هذا البيت إيهامُ التضادّ بين بياض الشَّيْب والبكاء، إذْ استعار الشاعر لظهور بياض الشيب فعل "ضَحِكَ" فكان الضحك مقابلاً للبكاء مقابلة تضادّ.

المثال السابع: قول أبي الطيّب المتنبيّ:

فَلاَ الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبلٌ ... وَلاَ الْبُخْلُ يُبْقي الْمَالَ وَالْجّدُّ مُدْبِرُ

الْجَدُّ: الحظُّ والنَّصِيبُ من الْخَيْر.

في هذا البيت مقابلة بين فريقين من المعاني يوجد بين عناصرهما طباق، وهي ثُلاَث:

الفريق الأول: الجود – يُفْنِي – مُقْبل.

الفريق الثاني: البخل – يُبْقِي – مُدْبِر.

المثال الثامن: قول النابغة الجعدي مادحاً:

فتَىً تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

في هذا البيت مقابلة بين فريقين من المعاني يوجد بين عناصرهما طباق، وهي مثنىً:

الفريق الأول: يَسُرُّ – صَدِيقه.

الفريق الثاني: يَسُوءُ – الأعاديا.

السجع

السجع من ألوان البديع الموغلة في القدم وقلما خلت منه آثار الأدبية لفصحاء العرب والمقدمين في البلاغة

السَجْع في اللغة : الكلام المقفّى، والجمع أَسْجاعٌ وأَساجيعُ. وقد سَجَعَ الرجل سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجيعاً، وكلامٌ مُسَجَّعٌ، وبينهم أُسْجوعَةٌ. وسَجَعَتِ الحمامةُ، أي هدرتْ. وسَجَعَتِ الناقةُ، أي مدَّت حنينها على جهةٍ واحدة.

وفي اصطلاح البلاغة:

هو تواطُؤُ الفاصلتين من النَّثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر.

وأفضل السجع ما كانت فِقَرَاتُه متساويات،[42] وقد ذكر علماء البلاغة ما ينبغي أن يكون عليه السجع حتى يكون مستساغا حسنا يضفي على النصوص رونقا وجمالا

شروط حسنه:

لا يحسن السجع كل الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء:

---

[42] البيان والبديع ،جامعة المدينة ،ص: 463

1- أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع.

2- أن تكون الألفاظ خدم المعاني، إذ هي تابعة لها، فإذا رأيت السجع لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ، أو نقصان فيه، فاعلم أنه من المتكلف الممقوت.

3- أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة.

4- أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكرارا بلا فائدة.

ومتى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاما يخلو منه كما لا تخلو منه سورة، وإن قصرت، بل ربما وقع في أوساط الآيات.[43]

والسجع في المنثور بإزاء التصريع في المنظوم،

أقسام السجع

يرى علماء البلاغة أنه ثلاثة أقسام:

أولها - (السجع المطرف) وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقنا في التقفية، نحو قوله تعالى « مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً »

وإنما سمي هذا النوع باسم المطرف، لأن الذي وقع به التوافق إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير.

ثانيها - (السجع المُرصَّع) : وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتّقفية،

كقول الحريري، هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه وكقول الهمذاني: إن بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحواً.

وقول أبي الفتح: (ليكن إقدامك توكلاً، وإحجامك تأملاً).

وإنما سمي هذا النوع باسم (المرصع) تشبيهًا له بالعقد الذي ترصع فيه اللآلئ.

---

[43] علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 360)

ثالثها – (السجع المتوازي) : وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى **(فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ)**[44] ونحو:

ومثال ما كان الاختلاف فيه في التقفية دون الوزن قولهم: (حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت) أي: أنعم الله عليَّ فحصل عندي وملكت الناطق وهو الرقيق، والصامت: كالخيل ونحوها؛ كالعقار، (فحصل) على وزن (هلك) وقافيتها مختلفة، لأن قافية الأولى هي اللام، ولكن قافية الثانية هي الكاف، وكذلك يقال في: ناطق، وحاسد، وأما (صامت) و (شامت) فلابد فيهما من التوافق وزنًا وقافية، لأنهما فاصلتان.[45]

ملاحظات عامة:

الأسجاع مبنية على سُكون أواخرها، وأحسن السجع ما تساوت فقره

السجع: موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر نادراً: كقوله:

فنحن في جذل والرّوم في وجل*** والبرّ في شغل والبحر في خجل

ولا يستحسن السجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلف والتصنع، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه، كما لا تخلو منه سورة وإن قصرت.

الخلاف في إطلاق السجع في القرآن والشعر:

وقيل: إنه لا يقال: "في القرآن أسجاع" وإنما يقال: "فواصل

وكدأب العلماء قديمًا وحديثًا انقسموا فريقين، فريق يثبت وجوده في القرآن ويؤيد، وآخر ينفي ويعترض، وكل أدلى بدلوه، واستدل بأدلته.

فالمانعون –وعلى رأسهم الباقلاني– يستندون إلى أدلة كثيرة؛ منها: أن الفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، ثم إن السجع يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجةً في نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات، كما أنه روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال للذين كلموه في شأن الجنين: ((أسجعًا كسجع الكهان))، فرأى ذلك مذمومًا، وأن لو كان في القرآن سجع

---

[44] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 331)

[45] ينظر البلاغة الصافية ص: المعاني والبيان والبديع 193– 194 و جواهر البلاغة 131 وما بعدها

لأمكن معارضته؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم، بل هو في عادتهم. ثم إن تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في آخر كما جاء في سورة الشعراء وسورة طه، ليس للسجع، بل لفائدة أخرى، وهي إعادة ذكر القصة بألفاظ مختلفة تؤدي معنًى واحدًا. فالمقصد من تقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهار للإعجاز على الطريقين جميعًا، ثم إنه لا يقال: في القرآن أسجاع؛ لعدم الإذن الشرعي، ولا يقال في القرآن أسجاع أيضًا، إنما يقال فواصل، لقول الله تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} (فصلت: 3). هذه هي بعض أدلة المانعين.

أما المجيزون فأدلتهم كما أوردوها؛ هي: أن السجع ليس عيبًا، فمنه ما يأتي طوعًا سهلًا تابعًا للمعاني وبالضد من ذلك، والقرآن لم يأتِ فيه مثال من القسم المعيب؛ لعلوه في الفصاحة. كما أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– سمع الشعرَ واستحسنه، وأمر به شعراءَه، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل...[46]

موقف النقّاد منه:

تباينت آراء النقّاد من السجع فمنهم من دعا إلى تجنّبه لما فيه من تكلّف وتشبّه بكهّان الجاهلية والمتنبئين الكَذَبة

بعد الاسلام. ومنهم من رأى فيه وجها من وجوه البلاغة بعد أن ورد في القرآن الكريم وأقوال النبي (ص). وإنما كان مكروها في سجع الكّهان لمعانيه لا لمبناه.

قال العسكري (1) «كان (ص) ربّما غيّر الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها، كقوله (ص): أعيذه من الهامّة، والسامّة، وكل عين لامّة. وإنما أراد ملمّة، وقوله عليه السلام: ارجعن مأزورات، غير مأجورات، وإنما أراد موزورات من الوزر فقال: مأزورات، لمكان مأجورات، قصدا للتوازن وصحّة التسجيع».
وعلّق على ذلك بقوله: فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلّف والخلوّ من التعسّف.

---

[46] ينظر – البيان والبديع – جامعة المدينة (ص: 468)

الجناس

أرى من المهم قبل تناول موضوع هذه المحاضرة أن نقدم له بتوطئة وذلك لأهمية هذا الموضوع وأصالته في تراثنا الأدبي، "فالجناس من فنون البديع اللفظية. ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز، فقد عده في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده وعرّفه ومثّل للحسن والمعيب منه بأمثلة شتى"[47].

الجناس وقد وورد في بعض كتاب البلاغة بمصطلح التجنيس في الحقيقة فن واسع من فنون البديع لم يُعهد في فن منها أن كثرت تعاريجه، واتسعت مسائله، واختلفت صوره كما هو الحال في فن الجناس؛ لذا فإن وَضْع حد لهذا الفن يجمع أطرافه ويلم شتاته، ليس بالأمر السهل الهين، من ثَم كان الكاتبون في البلاغة يفرون من وضع تعريف له، ويكتفون بوضع تصور أو ضابط لنوع من أنواعه، أو فرع من فروعه، الأمر الذي أدى إلى كثرة التعريفات مع ما فيها من تصور وعدم وفاء بأطراف هذا الفن المترامية. وقد أشار الخليل إلى فن

---

[47] علم البديع ،**عبد العزيز عتيق** ،ص: 195

الجناس بقوله: "الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعَروض والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها، مثل قول الشاعر:

يوم خلجت على الخليج نفوسهم ... .

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى، مثل قوله تعالى: {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (النمل: 44) ". وللأصمعي كتاب يُنسب إليه يسمى (كتاب الأجناس) وابن المعتز يعده من الفنون الأساسية للبديع، ثم ما لبث أن نَمَا الجناس، وتشعبت فروعه، وكثرت أنواعه، وتعددت مصطلحاته، ولعل ذلك يرجع إلى إسراف الشعراء وإكثار الكتاب من هذا اللون، وتفننهم في صنوفه[48].

أما إذا رمنا تعريف الجناس فيمكن ايجاز الأمر بالقول أن:

الجِنَاسَ في اللّغة: المشاكلة، والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جانَسهُ، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جِنْسه، وجنسُ الشيء أصله الذي اشْتُقَّ منه، وتَفَرَّع عنه، واتَّحدَ معَه في صفاته العظمى التي تُقومِّ ذاته.

أما في اصطلاح البلاغيين فهو تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف في المعنى، وينقسم قسمين: تام وغير تام

أولا: الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء:

أ- هيئة الحروف، أي: حركاتها وسكناتها.

ب- عددها.

جـ- نوعها.

د- ترتيبها.

والجناس التام: ممّا لا يتفق للبليغ إلا على ندور وقلة: فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه وساقهُ، وحتى تكون كلمتهُ ممّا لا يبتغي الكاتب منها بدلاً، ولا يجد عنها حولا.

أقسام الجناس التام:

قسّم علماء البلاغة هذا النوع إلى خمسة فروع وهي ما يلي:

---

[48] البيان والبديع – جامعة المدينة (ص: 487)

الجناس التام المماثل: ما اتفق فيه اللفظان في نوع الكلمة، كأن يكونا: اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

- بين «اسمين» قوله تعالى: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ".

فالجناس هنا بين اسمين متماثلين في كل شيء هما السَّاعَةُ وساعَةٍ الأول بمعنى القيامة، والثاني بمعنى مطلق الوقت

ومنه قول المعري:

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة ***فقلت: لا هوّمت أجفان أجفانا

فأجفان الأولى اسم، وهو جمع واحده جفن وهو غطاء العين، والثاني اسم تفضيل بمعنى أكثرنا جفاء. فالجناس بين اسمين متماثلين لفظا مختلفين معنى.

يا إخوتي منذ بانت النُّجُب *** وجب الفؤاد وكان لا يجب

يعني: من الوجيب، وهي الحركة الشديدة:

فارقتكم وبقيتُ بعدَكم ***ما هكذا كان الذي يجب

فالجناس بين "يجب" و"يجب" الأولى بمعنى يضطرب ويتحرَّى، والثانية بمعنى يلزم. نحو (لمّا قال لديهم قال لهم)، فقال الأولى بمعنى نام وقت القيلولة، والثانية بمعنى تكلّم، وقد لاحظ البلاغيون أن هذا النوع قليل الورود في مأثور الشعر والنثر ولم يشر الدارسون إلى وجوده في القرآن الكريم

بين حرفين، نحو: (قد يجود الكريم، وقد يعثر الجواد) فقد الأولى تفيد التكّثير، والثانية تفيد التقليل.

وهذا النوع لا يكاد يوجد وهذا الأسلوب الوارد في كتب البلاغة تمثيلي تعليمي

الجناس التام المستوفى:

وهو الجناس التامّ الذي يكون اللّفظان المتشابهان فيه من نوعين مختلفين من أنواع الكلام، كأن يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً، ومن أمثلته ما يلي:

قول أبي تمّام يمدح يحيى بن عبد الله البرمكي:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فإنَّهُ*** يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الله

والجناس –كما هو واضح– بين "يحيى" و"يحيا" الأولى اسم والثانية فعل.

ومثله قول أبي الفتح البستي:

قيل للقلب ما دهاك أجبني*** قال لي بائع الفران فراني

ناظراه فيما جنى ناظراه *** أو دعاني أمُت بما أودعاني

في النص ثلاثة مواضع للجناس؛ الأول: بين "الفران" و"فراني" وهو من الجناس التام المستوفي؛ لأن الأولى اسم، والثانية فعل. والثاني: بين "ناظراه" "وناظراه" وهو من الجناس التام المستوفي؛ لاختلاف طرفيه بين الفعلية والاسمية، وهو محل الشاهد؛ لأن ناظراه الأولى فعل أمر مسند إلى ألف الاثنين، ومعناه: جادلاه وساءلاه، وناظراه الثانية اسم بمعنى عيناه الثالث: فهو بين "دعاني" و"أودعاني" والمعنى: جادلاه وسائلاه، فإن لم تفعلَا فاتركاني أمت ومثال مقابلة الاسم بالحرف مع ندرة هذا النوع: ما رُوي عن النبي –صلى الله عليه وسلم: ((إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله تعالى إلا أجرتَ بها، حتى ما تجعل في فِي امرأتك)) "في" الأولى حرف جر، والثانية اسم بمعنى الفَم. ومثاله في مقابلة الفعل بالحرف ما ذكروه من قولهم: علا زيد على جميع أهله، بمعنى: علت منزلته عليهم.

ومن بديع الجناس بين الاسم والفعل ما كتب به إلى الخليفة المأمون في حق عامل له وهو: «فلان ما ترك فضة إلا فضها، ولا ذهبا إلا أذهبه، ولا مالا إلا مال عليه، ولا فرسا إلا افترسه، ولا دارا إلا أدارها ملكا، ولا غلّة إلا غلّها، ولا ضيعة إلا ضيّعها، ولا عقارا إلا عقره، ولا حالا إلا أحاله، ولا جليلا إلا أجلاه، ولا دقيقا إلا دقه».

جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين:

ومن أمثلته قول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا هبه*** فدعه فدولته ذاهبه

"ذا هبة" الأول: أي: صاحب هِبَةٍ. والثانية اسم فاعل من الذّهاب

ومثله قول القائل:

يا سيدا حاز رقى *** بـــما حبـــاني وأَوْلَى

أحسنت برا فقل لي*** أحسنت في الشكر أو لا؟

فالجناس بين «أولى» وهي كلمة مفردة فعل بمعنى منح وأعطى، وبين «أو لا» وهي كلمة مركبة من «أو» العاطفة و «لا» النافية.

الجناس غير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأشياء الأربعة السابقة، وهو على أربعة أحوال؛ لأن الاختلاف إما في نوع الحروف، أو في عددها، أو في هيئتها، أو في ترتيبها.

فإذا كان اللفظان مختلفين في نوع الحروف فالجناس بينهما إما أن يكون مضارعاً، وإما أن يكون لاحقا.

أ) فالمضارع: هو ما كان الحرفان اللذان وقع بينهما متقاربين في المخرج، سواء أكان في أول اللفظ، أو في وسطه، أو في نهايته، وسمي مضارعًا، لمضارعة المخالف من اللفظين لصاحبه في المخرج.

والحرفان المختلفان إما أن يكونا في الأول، كقولهم: "ليل دامس وطريق دامس"، والدامس: شديد الظلمة، والطامس: الذي ليس فيه أثر يهتدي به.

ولنلحظ أنَّ الدال في "دامس" والطاء في "طامس" مختلفان في النوع، إلا أنهما متقاربان في المخرج؛ لأنهما خارجان من اللسان.

وإما أن يكون في الوسط، كقوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} [الأنعام: 26] فالهمزة والحاء من الحلق.

وإما أن يكون في الآخر، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة".

وواضح أن اللام والراء متقاربين في المخرج "لخروجهما من اللسان".

(ب) واللاحق: ما كان الحرفان اللذان وقع بينهما الخلاف غير متقاربين في المخرج، سواء أكانا في الأول، أو في الوسط، أو في الآخر.

وسمي لاحقًا: لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر في الجناس.

فمثال الأول: قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة: 1] فالهاء واللام غير متقاربين في المخرج، لأن الهاء حلقية، واللام لسانية.

ومثال الثاني: قول الله تعالى: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: 7، 8] فالحاء والدال غير متقاربين في المخرج، لأن الهاء حلقية، والدال لسانية.

ومثال الثالث قول البحتري:

هل لما فات من تلاق تلافي*** أم لشاكٍ من الصبابة شافي؟

والتلافي: مصدر من: تلافى الأمر: تداركه، والصبابة: الشوق، فالجناس بين (تلاق) و (تلافي) والقاف والفاء في آخرهما متباعدتان في المخرج.[49]

تنبيه

غير أنه يشترط في اللفظين المختلفتين في نوع الحرف ألا يقع الاختلاف في أكثر من حرف واحد. وإلا لم يبق بينهما تجانس لفظي (كفتح وفقد) و (علم وعرف) و (خبز وخرج) إذ ليس بين تلك الألفاظ تجانس لفظي لأن الاختلاف في نوع الحرف قد وقع في أكثر من حرف.

2 – والحالة الثانية: وهي حالة الاختلاف في عدد الحروف:

فإذا ما اختلف اللفظان في عدد الحروف، بأن كان عدد أحد اللفظين رائدًا، سمي (الجناس الناقص)، وذلك لنقصان أحد اللفظين عن الآخر في عدد الحروف.

وهو ثلاثة أنواع: (مطرف) و (مكتنف) و (مذيل).

فالمطرف: ما كانت الزيادة فيه في أول اللفظ، كما في قوله تعالى: {وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} [القيامة: 29، 30]، وبين الساق والمساق: جناس، لأن باللفظ الثاني زيادة هي الميم في أوله.

والمكتنف: ما كانت الزيادة فيه في وسط اللفظ نحو قولهم: (جدي جهدي) بفتح الجيم فيهما، والهاء زائدة في وسط اللفظ الثاني.

والمذيل: ما كانت الزيادة فيه في آخر اللفظ، كقول أبي تمام:

يمدون من أيد عواصٍ عواصم ***تصول بأسياف قواض قواضب

---

[49] ينظر المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 183) و ما بعدها البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع ص: 188

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 289)

أي: عاصيات على أعدائهم، عاصمات لأوليائهم، وقواض يعني: مهلكات وقواضب يعني: قاطعات، بين (عواص) و (عواصم) جناس ناقص لزيادة حرف

الميم في آخر اللفظ الثاني، وكذلك بين (قواض) و (قواضب) جناس ناقص لزيادة حرف الباء في اللفظ الثاني.

وكقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفاء*** من الجوى بين الجوانح

والجوى: حرقة القلب، والجوانح: الضلوع، فبين (الجوى) و (الجوانح) جناس ناقص لزيادة حرفي النون والحاء في آخر اللفظ الثاني.

وقد يسمى ما كان الاختلاف فيه بزيادة أكثر من حرف في الآخر: (مذيلاً).

3 – والحالة الثالثة: هي الاختلاف في هيئة الحروف، فإذا اختلف اللفظان في هيئة الحروف كان الجناس نوعين: (محرفًا) و (مصحفًا).

(أ) فالمحرف: ما اختلف اللفظان في الحركات والسكنات، نحو قولهم:

("جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبَرْد") فبين البُرْدِ والبَرْدِ جناس محرف، لاختلافهما في الهيئة، فالأولى بضم الباء، وهو نوع من الثياب، والثاني: ضد الحر.

(ب) والمصحف: ما اختلف فيه اللفظان نقطًا، بحيث لو زال إعجام أحدهما، أو كليهما، لم يتميز أحدهما عن الآخر، كقول أبي نواس:

من بحر شعرك أغترف ***وبفيض علمك أعترف

فبين (أغترف) و (أعترف) جناس مصحف، إذ ليس بينهما خلاف إلا بالنقط، بحيث لو تجرد اللفظان لما تميز أحدهما عن الآخر.

4 – والحالة الرابعة: حالة الاختلاف في ترتيب الحروف: فإذا اختلف اللفظان في ترتيب حروفهما سمي: (جناس القلب) وهو أربعة أنواع: (قلب كل) و (قلب بعض) و (مجنح) و (مستو).

. فالقلب الكلي: ما انعكس فيه ترتيب الحروف، كقولهم: (حسامه فتح لأوليائه، وحتف لأعدائه) فبين (فتح) و (حتف) جناس قلب كلي لأن الترتيب فيهما قد انعكس كليًا، لأن (حتف) مقلوب (فتح).

. والقلب الجزئي: ما انعكس فيه ترتيب بعض الحروف، كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم" "اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا" لأن انعكاس الترتيب فيه ليس في كل الحروف.

. والمجنح: ما كان فيه أحد اللفظين اللذين وقع بينهما القلب في أول البيت، والآخر في آخره كأن له جناحين، كما في قول الشاعر:

لاح أنوار الهدى*** من كفه في كل حال

فلفظ لاح مقلوب (حال) ولفظ: حال مقلوب (لاح) وقع أولهما في أول المصراع الأول وثانيهما في آخر المصراع الثاني.

والمستوى: ما كان اللفظ فيه بحيث لو عكس وبدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير نحو: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ} [الأنبياء: 33]، لأنك لو عكست هذا الترتيب، فبدأ من الكاف في (فلك) كان هو بعينه.

ومنه قول الشاعر:

مودته تدوم لكل هول***وهل كل مودته تدوم

فإنك لو بدأت بآخر حرف من البيت إلى أوله لما تغير اللفظ ولا المعنى.

سر الجمال اللفظي في الجناس:

هو هذا هو الخداع اللفظي الذي يخدعك به الشاعر أو الأديب، فيبدي لك الكلام في صورة التكرير والإعادة، مع أنه قد تضمن حسن الإفادة والزيادة.[50]

[50] من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني (1/ 252) والبلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع ص: 187 وما بعدها